الباب الثانى
الحياة الاقتصادية فى الدلتا

1- الفصل الأول : الموارد المالية
2- الفصل الثانى : الزراعة
3- الفصل الثالث : الصناعة
4- الفصل الرابع :التجارة

الفصل الأول
الموارد المالية

أولا: الموارد:

تناولت من الموارد المالية فى الاقليم الخراج والجوالى والزكاة والمكوس والأحباس والمستغلات والمواريث الحشرية التى كانت تمثل حجر الزاوية لسكانه.

1-الخــراج: [1]

يعد الخراج أهم الموارد المالية لبيت المال، وهو ضريبة عقارية يقول المقريزى[2] " تؤخذ من الأراضى التى تزرع حبوبا ونخلا وعنبا وفاكهة ، أما يؤخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج والكشك وغيره من طرف الريف".

وعندما دخل القائد عمرو بن العاص مصر سنة 20هـ/ 641م اهتم منذ البداية بمشروع استكمال فتح الدلتا، فأرسل عبد الله بن حذاقة السهمى إلى عين شمس والمناطق المجاورة ففتحها وعقد صلحا مع أهلها، وأرسل عميرا بن وهب الجمى إلى تنيس وتوتة[3]،

([1]) الخراج هو المتحصل من الفرائض فى الأموال، ويقطع على القرية وعلى مال الفئ. انظر ابن رجب : الاستخراج لأحكام الخراج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م، ص 9.
والخراج فى لغة العرب اسم للكراء والغلة.
- الماوردى : الأحكام السلطانية، دار الفكر العربى، القاهرة، 1980م، ص 128.
- الخراج الضريبة المفروضة على أهالى البلاد المفتوحة، وكانت مفروضة من قبل على الأراضى فى الممتلكات البيزنطية والفارسية، وكانت تعرف تجوزا بالجزية للدلالة على خضوع أهالى البلاد المفتوحة للعرب.
- عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الاسلامية، الطبعة الثانية، الانجلو المصرية، القاهرة، 1972م، ص 39.

([2]) الخطط، جـ1، ص 103.

([3]) تونة من جزر بحيرة تنيس . انظر. الأدريسى: نزهة المشتاق، ص 336.
- الهروى : الاشارات لمعرفة الزيارات، نشر وتحقيق جانيين سورديل ، المعهد الفرنسى، دمشق ، 1953م، ص 46.
- ابن الأثير : اللباب فى تهذيب الانساب، الجزء الأول، مكتبة القدسى، القاهرة 1357هـ، ص 188.

ودميرة. [1] وشطا[2] ، ودقهلة[3] ، وبنا وبوصير. [4]كما ارسل عقبة بن عامر[5] ، الجهنى إلى كافة قرى اسفل الأرض، وعندما انتهى عمرو بن العاص فتح مصر فرض على ارضها الخراج. [6]

وكذلك فرض المسلمون الخراج على الاسكندرية وقرى سلطيس[7]، ومصيل[8] ، وبلهيب[9] ، التى ساندت الروم أثناء الفتح العربى لمصر. [10]

وتنقسم الأرض الزراعية إلى قسمين : ارض العشر وأرض الخراج، وكان الخراج يحصل من الأرض التى فتحها المسلمون عنوة وتركها الخليفة فى ايدى أصحابها ومن الأرض التى فتحت صلحا وتركوها فى ايدى اهلها[11]، ولا يفرض الخراج على الارض العشرية ويفرق الماوردى[12]، بين أرض الخراج والعشر فى الملك والحكم ويقسمها أربعة أقسام هى:

1- ما استأنف المسلمون أحياءه فهو أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها خراج.

([1]) توجد دميرتان احدهما فى مواجهة الأخرى على ضفة النيل. ياقوت : معجم البلدان، جـ2 ص 472.
- البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 536.
- وتشتهر دميرة بصناعة اجود الثياب وتكتظ بحركة التجارة.
- الأدريسى : نزهة المشتاق، ص339.

([2]) تقع شطا على ساحل فرع دمياط. اليعقوبى: البلدان، ص 338. ياقوت : معجم البلدان، جـ3، ص 342.
- وتبعد عن دمياط حوالى ثلا ثة اميال . ياقوت: معجم البلدان، جـ1، ص 342.
- البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 797 وتشتهر بصناعة الثياب الشطوية.
- ياقوت : معجم البلدان ، جـ3، ص 342. والمقريزى: الخطط، جـ1، ص 226.
- المقريزى : ثغر دمياط (مخطوط) ورقة 57 مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج رقم 146 تاريخ

([3]) دقهلة تقع على فرع دمياط. القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 383.
ويضاف إليها كورة فتعرف بكورة الدقهلية. ياقوت : معجم البلدان، جـ1، ص 459.

([4]) بنا بوصير من أعمال السمنودية. ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 112.

([5]) عقبة بن عامر بن عيسى الجهنى أسند إليه معاوية ابن ابى سفيان صلاة وخراج مصر ثم صرفه عنها سنة 47هـ/ 667م المقريزى : الخطط، جـ1، ص 301.

([6]) البلاذرى : فتوح البلدان، الجزء الأول، تحقيق صلاح الدين المنجد، النهضة المصرية، القاهرة، ص 254.

([7]) سلطيس من قرى حوف رمسيس . ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 148.

([8]) مصيل من قرى البحيرة. ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 189.

([9]) بلهيب من قرى البحيرة . ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 114.

([10]) ابن عبد الحكم : فتوح مصر، ص 82- 83 ، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 294- 295.

([11]) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص 128.

([12]) الأحكام السلطانية، ص 128.

2- ما أسلم عليه أربابه فهم أحق به فتكون على مذهب الشافعى أرض عشر ولا يجوز أن يوضع عليها الخراج، وقال ابو حنيفة الامام مخير بين ان يجعلها خراجا او عشرا فان جعلها خراجا لم يجران تنقل إلى العشر وان جعلها عشر جاز ان تنقل إلى الخراج.

3- ما ملك من المشركين عنوة وقهرا فيكون على مذهب الشافعى غنيمة تقسم بين الغانمين وتكون أرض عشر لا يجوز ان يوضع عليها خراج وجعلها مالك وقفا على المسلمين بخراج يوضع عليها، وقال ابو حنيفة يكون الامام مخير بين الأمرين.

4- ما صولح عليه المشركون من أرضهم فهى الارض المخصصة بوضع الخراج عليها.

وعندما تم لجوهر الصقلى[1] فتح مصر سنة 358هـ/ 969م تركت الدولة الفاطمية الملكية العقارية بايدى أصحابها، وكتب جوهر للمصريين عهدا جاء فيه " ولكم على أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام فى انفسكم وأموالكم ونعمكم وضياعكم ورباعكم". [2]

ولقد جبى جوهر الصقلى خراج مصر فى سنة 359هـ/ 969م "ثلاثة آلاف الف دينار ومائتى الف دينار"[3]، أى ما يعادى 3.200.000 دينار. [4]

([1]) ابو الحسن جوهر بن عبد الله مولى المعز لدين الله الفاطمى. فكان جوهر خصيص من كبار قادة المعز وأسند لجوهر مهمة فتح مصر بجيش جرار ورحل عن افريقية فى يوم السبت الموافق 14 ربيع الأول سنة 358هـ/ 969م.

- ابو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ 4، ص 28.

([2]) ابن حماد: اخبار ملوك بنى عبيد وسيرتهم ، تحقيق عبد الحليم عويس وآخرين، مطبعة مصر ، القاهرة، 1981م، ص 85.

- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، الجزء الأول، ص 106.

([3]) ابن حوقل: صورة الارض، ص 52.

- النويرى : نهاية الأرب، الجزء الأول، القاهرة 1923م، ص 265.
- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة، تحقيق مصطفى السقا وأخرين، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1969م، ص 126.
- مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 55 مكتبة رفاعة الطهطاوى بسوهاج تاريخ 255.

([4]) اى ما يعادل بالجنية المصرى حوالى 1.920.000 انظر:

عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عصر الفاطميين، الطبعة الأولى، دار الفكر العربى، القاهرة، 1948م، ص 197.

أما ابن اياس[1] فيذكر بان جوهر حصل خراج مصر الف الف دينار، ومائتى الف دينار، وشهد الخراج ارتفاع ملحوظا فى عصر الخليفة الحاكم بامر الله فبلغ ثلاثة ألف الف دينار واربعمائة الف دينار فى سنة 360هـ.

وفى وزارة الأفضل شاهنشاه[2] ، بن أمير الجيوش ارتفع خراج مصر إلى خمسة آلاف الف دينار وبلغ متحصل الأمراء الف الف دينار.[3]

وكان الفاطميون يحصلون من الفدان ثلاثة دنانير ونصف ثم ارتفاع الخراج إلى سبعة دنانير[4]، وكان أغلب خراج الوجه البحرى يحصل نقدا ، أو أكثر خراج الوجه القبلى فكان يحصل عينا، مما يؤخذ من غلة الأرض مقدرا بالدينار[5]، ويذكر المقريزى[6] ، بأن خراج " الوجه البحرى ألف ألف ومائة ألف واحد وخمسون ألفا وستمائة وثلاثون وخمسون دينارا".

ويوزع هذا الرقم على النحو التالى: ثغر الإسكندرية 8138 دينار وثغر رشيد 1000 دينار، والبحيرة 115576 دينار، وحوف رمسيس[7]، دينار فوة[8] والمزاحمتين[9]، 10125

([1])بدائع الزهور، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، ص 46.
- ابن اياس : نشق الأزهار، ص 37- 38.

([2]) احمد بن بدر الجمالى ابو القاسم شاهنشاه الملك المعروف بالملك الأفضل وزير كان أمير الجيوش المصرية أرمنى الأصل اتخذه المستنصر وزير له.
- الزركلى : الاعلام، الجزء الأول ، الطبعة الثانية، ص 99، وتوفى الافضل فى 30 رمضان سنة 515هـ/ ربيع الأول سنة 487هـ. زامباور : معجم الأسرات، ص 149.

([3]) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة، ص 126.

([4]) ابن حوقل : صورة الارض، ص 152.

([5]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 449- 450.
- على سالم النباهين : نظام التربية الاسلامية فى عصر دولة المماليك، الطبعة الأولى، القاهرة، 1981م، ص 120.

([6]) الخطط، جـ1، ص 87.

([7]) حوف رمسيس من اقليم البحيرة وقاعدته رمسيس، ويشمل مراكز ايتاى البارود وكوم حمادة والدلنجات وبعض القرى الجنوبية من مركز دمنهور.
محمد رمزى : القاموس الجغرافى، الجزء الثانى، القسم الثانى، ص 249.

([8]) فوه تقع على شاطئ النيل بالقرب من رشيد تشتهر بالأسواق ومزارع النخيل.
- ياقوت : معجم البلدان، جـ4، ص 280. والبغدادى: مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1047.
- وتشتهر بزراعة الموز (الدمشقى : نخبة الدهر، ص 23) وهى عجيبة المنظر حسنة المخبر تشتهر بالبساتين والفواكه (ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 20).
- فوه من الأمصار الجليلة وتتميز بسعة عملها وأضيفت إلى متولى الاسكندرية.
- الوطواط: مباهج الفكر، ص 126.

([9]) المزاحمتين من بلاد الحوف الغربى يمتد شمالا إلى البحر المتوسط، ويمتد جزء منه بالبر الشرقى من النيل وحاضرته مدينة فوه (القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 403) والمزاحمتين من أرطب الأراضى (الخالدى : المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 86).

دينار النبراوية 15305 دينار، وجزيرة بنى نصر [1] 112646 دينار والمنوفية 148347 دينار وجزيرة قويسنا[2] 13592 دينار والغربية 674605 دينار والسمنودية[3] مائتا الفا وخمسة وأربعون ألفا وأربعمائة وتسعة وسبعون دينارا والدنجاوية[4] ستة وأربعون الفا وأربعمائة وتسعة وسبعون دينارا والدنجاوية[5]، ستة وأربعون ألفا ومائتان وأربعة وسبعون دينار.

وفى خلافة المستنصر بالله 487هـ/1094م خامس خلفاء الفاطميين بمصر أورد أبو صالح الأرمنى بيانا بخراج هذا العهد ذا فائدة عظيمة أوضح فيه النواحى والكفور لكل كورة لكنه مع الأسف اغفل فيه مساحة كل منها:

الكورة أو المديرية	عدد نواحيها	عدد كفورها	مجموعها	خراج بالدينار	بالجينة المصرى
الشرقية	294	158	452	694.121	416.477
المرتاحية	48	41	89	70.358	42.214
الدقهلية	39	31	70	530.761	210.457
الابوانية	6	-	6	4.700	2.280
جزيرة قويسنا	68	6	74	159.664	95.798
الغربية	149	165	314	430.955	258.573
السمنودية	97	32	129	200.657	120.394
المنوفية	69	22	101	140.933	84.560
فوه	10	3	13	6.080	3.348

(1) جزيرة بنى نصر تنسب إلى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن حيث كان لبنى هوازن شوكة شديدة فى مصر وانتشروا فى اسفل الأرض وتغلبوا عليها حتى وقيت عليهم بعض قبائل البربر لواته التى تزعمأنها من قيس التى طردت بنى نصر إلى منطقة الجدار وصاروا أهل قرى فى وسط النيل وهىجزيرة بنى نصر.

(المقريزى : الخطط، جـ1، ص 226).

وأبيار قصبة جزيرة بنى نصر (الوطواط: مباهج الفكر، ص 117).

(2) جزيرة قويسنا تتبع مركز قويسنا محافظة المنوفية.

محمد رمزى : القاموس الجغرافى، الجزء الثانى، القسم الثانى، ص 204.

(3) السمنودية تقع على الضفة الغربية من فرع النيل المتجة إلى دمياط.

ابن دقماق: الانتصار، ص 91، وعاصمتها مدينة سمنود، الوطواط: مباهج الفكر، ص 121.

(4) الدنجاوية مدينة كبيرة من عمل الغربية.

(5) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 34.

والمزاحمتين					
النستراوية	6	-	6	14.910	8.946
رشيد والحديدية وادكو	3	-	3	3.000	1.800
جزيرة بنى نصر	41	23	64	62.508	37.505
البحيرة	87	89	176	139.313	83.588
حوف رمسيس	-	101	101	7	4 [1]
	917	681	1598	2.577.967	2.366.780

وكان معظم خراج مدينة جوجر[2] والنحريرية[3]، من المال الهلالى[4]، أو بلغ خراج فارسكور[5]، ما يزيد عن سبعين ألف دينار سنويا[6]، وكانت جملة المتحصل من خراج مدن الغربية اثنى عشر الف دينار سنويا. [7]

وفى ولاية احمد بن طولون[8]، بلغ خراج مدينة تنيس 500 الف دينار[9]، وفى العصر الفاطمى حصل من تنيس فى سنة 363هـ/ 973م فى يوم واحد من مال تنيس ودمياط

---

(1) كنائس واديرة مصر، اكسفورد ، 1894م، ص 10- 11.
- عمر طوسون: مالية مصر منذ عهد الفراعنة حتى الان، مطبعة صلاح الدين، الاسكندرية، 1931م، ص 225- 227.

(2) جوجر من كور السمنودية ناحية دمياط، البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 355.

(3) من الأعمال الغربية. المقريزى : الخطط، جـ1، ص 226 وهى مدينة كبيرة تشتهر بالأسواق والقياسر والفنادق، ابن دقماق: الانتصار، ص 86.

(4) ابن دقماق: الانتصار، ص 86.

(5) فارسكور من كور الدقهلية. ياقوت : معجم البلدان، جـ 4، ص 228 والبغدادى: مراصد الاطلاع، جـ 3، ص 1013.
تقع على ساحل النيل المتجهة إلى دمياط. ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 24.

(6) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 34.

(7) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 35.

(8) احمد بن طولون كان والده مول نوح بن اسد بن سامان السامانى عامل بخارى وخراسان اهداه نوح من جملة المماليك إلى المأمون بن الرشيد واخذ يترقى فى المناصب حتى اصبح من جملة الأمراء وولك احمد فى سنة 220هـ.
ابو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ3، ص 1، ودخل احمد بن طولون مصر فى سنة 254هم واليا على مدينة الاسكندرية.
- البلوى: سيرة احمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، مطبعة الترقى، دمشق 1939م، ص 42.

(9) الوطواط : مباهج الفكر، ص 130.

والاشمونين[1]، اكثر من مائتى الف وعشرين الفا دينار. [2]

وفى عصر الحاكم بأمر الله فى سنة 386هـ/996م بلغ جملة المتحصل من خراج مدينة تنيس المتأخر لمدة ثلاث سنوات الف الف دينار والف الف درهم. [3]

كما ارتفع خراج مدينة تنيس فيما بعد ويرجع ذلك للتقدم الهائل الذى شهدته مدينة تنيس فى صناعة النسيج فبلغ مقدار الخراج المتحصل يوميا منها فبلغ جملته حوالى ألف دينا مغربى ونلمس ذلك من اشارة الرحالة الفارسى – ناصر خسرو[4]، الذى زار مدينة تنيس فى العصر الفاطمى بقوله " وسمعت من الثقات انه يصل منها لخزانة السلطان مصر يوميا الف دينار مغربى[5]، ويصل ذلك المقدار مرة واحدة يحصله شخص واحد يسلمه اهل المدينة فى وقت معين وهو يسلم للخزانة ، فلا يتأخر منه شئ، ولا يجبى شئ بالعنف من اى شخص " وساهمت مدينة قليوب بقدر كبير من الخراج فكان يعادل خراج طرابلس وأعمالها[6]، ويبدو أن ظاهرة التأخير فى دفع الخراج ، كانت سائدة فى بعض قرى مدن الاقليم كما هو الحال فى قرية منية السباع ، الأمر الذى أثار حفيظة عامل الخراج فاجبرهم على تسديد ما عليهم فاضطر معظم الأهالى إلى الفرار من القرية. [7]

وأورد ابن مماتى[8]،ثبتا بأنواع المحاصيل وما يجبى عن كل فدان بالأردب وبالدنانير حتى سقوط الدولة الفاطمية سنة 567هـ/ 1171م تلك المحاصيل التى كانت تزرع بطبيعة الحال فى الاقليم موضع الدراسة:

([1]) الاشمونيين من اعظم مدن الصعيد. المقريزى : الخطط، جـ1، ص 238.
وهى من اقدم المدن يقيم بها متولى الحرب السعيد وهى قاعدة الولاية.
ابن دقماق: الانتصار، ص 15.

([2]) ابن ميسر: أخبار مصر، ص 164، والمقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ1، ص 147.
- ابن ظهيره : الفضائل الباهرة، ص 128.
- مجهول: المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 56.

([3]) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ4، ص 189، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 181.

([4]) الدينار المغربى يساوى عشرة دراهم من السكة المغربية ومن الدراهم النفرة خمسة دراهم والدينار المغربى يفوق الدينار المصرى بنسبة (2.5 : 3.5) وقيمة صرف الدينار المصرى ستون قرشا . انظر:
التيفاشى : ازهار الأفكار فى جواهر الأحجار، الشروح والتعليقات، ص 230، وجدول رقم (4) تحقيق محمد يوسف حسن واخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م.

([5]) سفرنامة، ص 40.

([6]) ابن دقماق: الانتصار، ص 48.

([7]) محمد رمزى : القاموس الجغرافى، جـ1، ص 26.

([8]) قوانين الدواوين، ص 259- 270.

اسم المحصول	الضريبة على الفدان بالأردب	بالدنانير
1-الحمص والجلبان والعدس		1
2-الكتان		2
3-القرظ		2
4-الثوم		1 وربع
5-البصل		
6-الترمس		1
7-الكمون والكراويا والسلجم		1
8-السمسم		5-1
9-السمسم النيلى		3
10-النيلة		1
11-الفجل		1
12-اللفت		2
13-الخس		2
14-القمح والشعير	3	
15-الفول	3-2.5	
16-البطيخ الأصفر والأخضر		2-1
17-اللوبيا		3
18-القلقاس		4
19-الباذنجان		3
20-القطن		1
21-الكرنب		2
22-الشجر والكروم		3
23-القصب الفارسى		3

أما مقدار الخراج الذى فرض على الماشية فكان حسب احصاء ابن مماتى[1]، ايضا كما يلى:

نوع الماشية	الضريبة المفروضة بالدنانير
1-الجاموس وينقسم بدوره إلى عدة أنواع كما يلى:	
أ-الراتب	5
ب-الغالب	4-3
ج-اللاحق	2-1.5
2-ابقاء الخيس	
أ-الرواتب	2
3-الاغنام البياض	
أ-الكبش والنعجة	1
ب-الثنى والثنية	3/2
ج-الشعارى الماعز كل 100 راس	

النحل كل 100 خلية 10 أرضال كسل و 6.5 قناطير شمع 20 رطلا.

مما تقدم يتضح أن مقدار الخراج كان ينفق مع غلة الأرض، فإذا زادت هذه الغلة زاد مقدار الخراج كما ان الخراج يختلف باختلاف المحاصيل، وإذا وازنا بين غلة الفدان ومقدار الضريبة المفروضة عليه فانه يتضح ان النسبة المئوية للضريبة كانت كما يلى:

متوسط إنتاج الفدان	النسبة المئوية للضريبة
10 -8	30% إذا كان المنزوع قمحا او شعيرا
	25% إلى 62.5 إذا كان المنزرع حمص
	17% إلى 25% إذا كان المنزرع لفتا [2]

وتوجد علاقة وثيقة بين تحصيل الخراج، وفيضان نهر النيل، فإذا بلغ النيل ستة عشر ذراعا يحصل الخراج[3]، ويعرف بماء السلطان[4]، ويزداد الخراج إذا ارتفع منسوب

([1]) قوانين الدواوين، ص 350- 353.

([2]) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى عهد الفاطميين، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1948م، ص 322.

([3]) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 76

([4]) عبد اللطيف البغدادى: الافادة، ص 44.

المياه إلى ثمانية عشر[1]، يقول ابن حوقل[2]، "ولمصر عادة منذ قديم الزمان وذلك أنه لا يتم الخراج[3] من أهلها إلا عند تمام الماء وافتراشه على سائر ارضها وتطبيقها" أما إذا نقص منسوب المياة بنهر النيل عن ستة عشر ذرعا فلا يحصل الخراج. تحصيل الخراج لم يكن ثابتا ، فقد كانت ضريبة الأرض تقل او تكثر حسب الاهتمام بالتعمير وتحسين وسائل الرى[4]، وينبغى على صاحب الخراج ان لم بكافة القوانين التى تشتمل على كل ناحية من حيث المساحة ونوع الارض[5]، ويختلف الخراج باختلاف نوع المحصول، واعتاد أهالى مصر ان يمسحوا اراضيهم بالقصبة الحاكمية[6]، التى يبلغ طولها خمسة أذرع بالبخارى والفدان أربعمائة قصبة[7]، وكان خراج مصر يوزع بطريقة القبالات فيوزع المناشير والوثائق لكل فدان ويؤخذ عليه قدر معلوم[8]، ويؤكد المقريزى[9]، على هذا النظام موضحا فيذكر انه يعلن عن الأراضى فى المزاد على يد متولى خراج مصر بجامع عمر بن العاص بالفسطاط فينادى على الارض جزءا جزءا او كورة – كورة" ويعطى لمن يرسو عليه المزاد لمدة اربع سنوات" ان متولى خراج مصر كان يجلس فى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط فى الوقت الذى تتهيأ فيه قباله الأرض ، وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادى على البلاد صفقات وكتاب الخراج بين يدى متولى الخراج يكتبون ما انتهى إليه مبالغ الكور والصفقات على يد من يتقبلها من الناس وكانت البلاد يتقبلها متقبلوها باربع سنين لأجل الظما أو الاستئجار وغير ذلك فإذا انقضى هذا ألمر خرج كل من كان تقبل ارضا وضمنها إلى ناحية فيتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه واهله ومن ينتدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج فى أبانه على اقساط ، وبحسب له مبالغ قبالته ولتلك الأراضى، ما ينفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضريبة مقدرة فى ديوان الخراج، ويتأخر مبلغ الخراج من كل سنة فى وجهات الضمان والمتقبلين".

([1]) ناصر خسرو : سفرنامه، ص 42.

([2]) صورة الارض، ص 129.

([3]) ابن جبير : رحلته ، ص 54- 55.

([4]) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى، جـ4، ص 2، النهضة المصرية، القاهرة، 1982م، ص 346- 347، ومحمد كامل شبانه: الازدهار الاجتماعى فى العصر الفاطمى – مجلة البحث العلمى – جامعة محمد الخامس، العدد التاسع، السنة الثالثة، سبتمبر 1966م ص 205.

([5]) المخزومى : المنهاج فى علم خراج مصر، ص 58.

([6]) تنسب إلى الخليفة الحاكم بامر الله الفاطمى طولها ستة أزرع بالهاشمى وخمسة أزرع بالتجارى وثمانية اذرع باليد . النويرى: نهاية الأرب، الجزء الأول، القاهرة 1923م، ص 249.

- القلقشندى : صبح الاعشى، جـ3، ص 442، والمقريزى: الخطط، جـ1، ص 103.

([7]) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 279 ، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 103.

([8]) ابن حوقل : صورة الارض، ص 152.

([9]) الخطط، جـ1، ص 82.

ويعلق الدكتور / محمد ادريس[1]، على نظام قبالة الارض من حيث المحاسن والعيوب فمن حيث المحاسن فهذا النظام يضمن للدولة موردا ثابتا من الأموال المفروضة على الأراضى الزراعية مما يسهل للدولة عملية جباية الخراج وبالتالى يحرص المزارعون على شئون الارض من حيث تنظيفها واقامة الجسور وحفر الترع وتطهيرها لتنظيم الرى وزيادة الانتاج مما يؤدى إلى استقرار الحياة الزراعية.

اما من حيث العيوب فالتقبل الذى كان يرسو عليه المزاد كانت تحدد له مبالغ معينة يدفعها عن مدة محددة كانت اقل بكثير مما كان يحصله الحياة من الفلاحين إذا كانوا يرهقون الفلاحين حتى يتحقق لهم الربح الوفير ولو كانت العلاقة مباشرة بين الفلاح والدولة لتحقيق زيادة فى ايرادات الدولة ولتجنيب الفلاح عسف المتقبلين، وكانت جباية الخراج تتم على أقساط حسب المحاصيل، وموعد إدراكها فيؤخذ ريع الخراج من الناس وفى شهر برمهات يطالبون الناس بالريع الثانى والثمن من الخراج وفى برمودة يطالبونهم باغلاق نصف الخراج من سجلاتهم وفى أبيب يتم تحصيل ثلاثة ارباع الخراج وينتهى الفلاحون من دفع الخراج فى شهر مسرى. [2]

وكان يعاون صاحب الكورة فى النواحى المالية شخص يسمى جسطال ، الكورة المشرف على النواحى المالية اما فى الريف فكان يعاونه مازوت القرية رئيس او عدة القرية وقد ورد ذكر هاتين الوظيفتين من أوراق البردى العربية التى كشفت بكون اشقوه فيشير قرة بن شريك اليهما بقوله " ونفذت فى ذلك إلى جسطال كورتك وإلى موازيت القرى".[3]

ثانيا: الجوالى: [4]

كانت الجوالى من موارد الدولة الفاطمية، وهى ضريبة راس فرضت على أهل الذمة من اليهود والنصارى[5]، كما يدفع المسلمون زكاة يقول الماوردى[6] " فيجب على ولى الأمر

([1]) الحضارة الاسلامية، مكتبة نهضة الشرق، القاهرة، 1985م، ص 237.

([2]) ابن حوقل: صورة الارض، ص 1300 والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 86.

([3]) جروهمان: اوراق البردى العربية، جـ3، ص 139- 140.

([4]) جمع جالية واصلها الجماعة التى انتقلت من وطنها إلى وطن آخر، واطلق على اهل الذمة الذين اجلاهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن الجزيرة العربية هذا اللفظ إلى الجزية التى اخذت منهم.

أبو يوسف: الخراج ، الطبعة الرابعة ، القاهرة 1392هـ، ص 2.

والجزية ضريبة قديمة فرضها اليونان والرومان على سكان البلاد المفتوحة، وكانت تصل إلى سبعة أضعاف الجزية التى فرضها المسلمون فيما بعد، ويعتقد ان أصل اللفظ فارسى مأخوذ من كلمة "كزيت " او تكون مشتقة من الجزاء.

خولة شاكر الدحيلى : بيت المال ونظوره ، مطبعة وزارة الأوقاف، بغداد 1976م، ص 97.

(5) ابن مماتى: قوانين الدواوين ، ص 312.

(6) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص 125، ومحمد ضياء الدين الريس: الخراج فى الدولة الاسلامية، ص 121.

ان يضع الجزية على رقاب من دخل فى الذمة من اهل الكتاب ليقروا بها فى دار السلام ويلتزم لهم ببذلها حقان احدهما الكف عنهم، وبالتالى الحماية لهم ليكونوا بالكف امنين وبالحماية محروسين".

والجزية تختلف عن الخراج من عدة نواح، فالجزية تفرض على الرؤوس أما الخراج فمقدار على الارض والجزية تسقط شرعا إذا دخل صاحبها الاسلام، والخراج يؤخذ مع الكفر والاسلام والجزية نص ولكن الخراج اجتهاد. [1]

قال الله تعالى: " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". [2]

وكان يشترط فى عقد الجزية شرطان، مستحق ومستحب، فاما المستحق ستة أشياء:

1- الا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له.
2- الا يذكروا رسول الله (ص) بتكذيب ولا ازدراء له .
3- الا يذكروا دين الاسلام بذم له ولا قدح فيه.
4- الا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح.
5- الا يقتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا دمه.
6- الا يعينوا أهل الحرب ولا يؤوا أغنياءهم .

وأما المستحب فستة شروط هى:

1- تغيير هيأتهم بلبس الغيار وشد الزنار.
2- الا يعلوا على المسلمين فى الابنية ان لم ينقصوا مساوين لهم .
3- الا يسمعوهم اصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم فى عزيز والمسيح.
4- ان يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بندب عليهم ولا نياحة.
5- الا يجاهروهم بشرب خمورهم ولا باظهار صلبانهم وخنازيرهم.
6- ان يمنعوا من ركوب الخيل هتافا وهجنا ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير. [3]

فى مستهل الفتح العربى لمصر حصل عمرو بن العاص الجزية من يهود الاسكندرية بواقع دينارين على كل فرد وكان عددهم ثلثمائة الف يودى فبلغت حصيلتهم ستمائة الف دينار. [4]

([1]) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص 124، ومحمد ضياء الدين الريس، المرجع السابق، ص 121.
([2]) سورة التوبة (الآية 29).
([3]) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص 126، والنويرى : نهاية الأرب، جـ8، ص 238- 239.
([4]) ابن دقماق: الانتصار، ص 125.

كما احتفظ المسلمون بالمواثيق والعمود التى قطعوها على أنفسهم لأهل الذمة فكان يوجد على سبيل المثال لا الحصر- كتاب عند ظلما صاحب اخنا – رشيد – ينص على دفع دينارين من الجزية ورزق المسلمين فى مقابل " ان لا يخرجوهم من ديارهم ولا تغتصب نساؤهم ولا ابناءهم ولا كنوزهم ولا أرضوهم ولا يزاد عليهم". [1]

وانتشر الأقباط فبكافة مدن الدلتا ، فكان يوجد بتنيس تسعة آلاف قبطى يدفعون الجزية[2]، بينما يؤكد البكرى انهم أكثر من عشرة آلاف من النصارى[3]، وكان الأقباط غالبية سكان مدن تنيس وشطا[4] ، ودمياط. [5]

كما استقر اليهود فى مدن الاقليم، فأشار الرحالة التطيلى الذى زار مصر أبان العصر الفاطمى، ومر بالاقليم إلى عدد اليهود، وانه قد استوطن بمدينة بلبيس ثلاثة آلاف يهودى وبنها ستين يهودى وسمناط[6]، مائتى يهودى ودمياط مائنى يهود والاسكندرية ثلاثة آلاف يهودى والمحلة خمسمائة يهودى. [7]

وظهرت حركات مناوئة لدفع الجزية فحرض والى البشمور[8]، الأهالى على عدم دفعها بقوله "ساعدونى وانا أحمى بلادكم وأوفر عليكم الخراج" وشق عصا الطاعة على جوهر الصقلى. [9]

وكانت الجزية تحصل مرة واحدة فى السنة، وكانت تجبى بحسب الشهور الهلالية[10]، وكانت تحصل من الحرفيين والتجار فى المدن، اما فى الريف فتدخل ضمن الخراج فكان العمال الخراج مندوبين إلى القرى لجمع الجزية من اليهود والنصارى حسب

([1]) ابن سلام : الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر العربى، القاهرة 1981م ص 141.
- ابو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ1، ص 19- 20.

([2]) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 130.

([3]) البكرى : المسالك والممالك (قطعة من مخطوطة المسالك والممالك) نشر محمد الفاسى ، مجلة البحث العلمى ، جامعة محمد الخامس، العدد 11- 12 ، السنة الرابعة 1967م، ص 14.

([4]) المقدسى: أحسن التقاسيم ، ص 201- 202.

([5]) الحميرى : الروض المعطار، ص 137.

([6]) ذكرها ياقوت باسم سنباط وسنبوطية وسنموطية، وهى بلدة فى جزيرة قويسنا، معجم البلدان، جـ3، ص 262، وسنموطية من اعمال جزيرة قويسنا ، ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 146.
وتشتهر سنباط بزراعة الكتان وتحفل بالأسواق والمتاجر، الأدريسى: نزهة المشتاق، ص 335.

([7]) التطيلى : رحلة بنيامين، ص 175- 179.

([8]) قرية البشمور تقع بالقرب من دمياط . البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 200.

([9]) ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، المجلد الثانى، الجزء الثانى، نشر عزيز سوريال عطية، القاهرة، 1948م، ص 88.

([10]) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص 127، والنويرى : نهاية الأرب، جـ8، ص 239.

حالتهم[1]، واعفى من دفع الجزية النساء والصبيان والعبيد والمجانين[2]، يقول الدكتور السيد الباز العرينى[3]، بأنه كان يفرض رسوم للقائمين على تحصيل الجزية حوالى درهمين وربع.

واختلف الفقهاء فى مقدرا الجزية فقسمها أبو حنيفة إلى ثلاثة أصناف اغنياء يؤخذ منهم ثمانية واربعون درهما، ومن المتوسط اربعة وعشرون درهما ومن الفقير اثنا عشر درهما ، ولكن الامام مالكا تركها لتقدير الامام واجتهاده اما الأمام الشافعى فقال انها لا تقل عن دينار. [4]

وكانت هذه الجزية تحسب بالدنايير، فقدرت على الغنى بأربعة دنانير، وعلى المتوسط بدينارين والفقير بدينار واحد. [5]

وكان مباشر الجوالى يقوم بتسجيل أسماء اهل الذمة، والضريبة المقررة عليهم يقول النويرى[6]، "وأما ما يلزم مباشر الجوالى، وما يحتاج إلى عمله فالذى يلزمه ان يبسط جريدة على أسماء الذمة بمقتضى الضريبة المرفوعة إليه او الكشف ان كان العمل مفتوحا او مستجدا بيدا فيها بذكر اسماء اليهود ويثنى بالسامرة لانه شغب منهم ويثلث بالنصارى".

ولم تعد الجزية تمثل مصدر هاما للدخل فى موارد الدولة لكثرة الداخلية فى الإسلام، وانتشار الإسلام فى مختلف البلاد وبالتالى قل عدد الأقباط واليهود. [7]

ثالثا: الزكـاة:

كانت الزكاة من موارد الدولة الفاطمية، وهى ركن من أركان الاسلام الخمس[8]، والزكاة فى الشريعة، حق واجب فى مال خاص لطائفة مخصوصة فى وقت معين فهى عبادة من ناحية وواجب اجتماعى من ناحية أخرى، وهى طهارة الضمير والذمة بأداء الحق المفروض عليها وطهارة للنفس. [9]

([1]) ابو يوسف : الخراج، ص 133- 134.

([2]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ، ص 317- 318 والنويرى : نهاية الأرب، جـ8، ص 236.
- ابو المحاسن : النجوم الزاهرة، جـ1، ص 17.

([3]) مصر فى عصر الأيوبيين ، القاهرة، 1960م، ص 192- 193.

([4]) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص 126، والنويرى : نهاية الأرب، جـ8، ص 237.

([5]) المخزومى : المنهاج فى علم خراج مصر، ص 35، وابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 318.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 458.

([6]) نهاية الأرب، جـ 8، ص 242.

([7]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 107.

([8]) ابن النعمان: الجوهرة النيرة، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة 1322هـ/ ص 113.

([9]) ابراهيم فؤاد على : الموارد المالية فى الاسلام، مؤسسة سجل العربى، القاهرة، 1970م، ص 20- 21.

قال الله تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلوتك سكن لهم والله سميع عليم". [1]

وقال تعالى: " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين، وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم"[2]، وقال تعالى: " قد افلح من تزكى". [3]

وقال الرسول (ص) "ليس فى المال حق سوى الزكاة"[4] وقال ابو بكر رضى الله عنه "لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعونى عقالا كانو يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه". [5]

والزكاة فى اللغة هى نماء وسبب للنماء فى المال بالخلق فى الدنيا والثواب فى الآخرة[6]، والزكاة تجب على كل مسلم بالغ. [7]

ويذكر الدكتور محمد جمال الدين سرور[8]، بأن الزكاة لا تعد موردا للدولة بالمعنى الصحيح بل هى مال يؤخذ من الغنى ويمنح للفقير ولا تنفق الدولة منه على إصلاح مرافقها فهى من هذه الوجهة ضريبة لاصلاح المجتمع فقط فى حدود معينة.

والأموال التى تجب عليها الزكاة نوعان أموال ظاهرة كالزرع والمواشى[9]، وفرضت على الزرع مثل الشعير والأرز والحنطة والذرة والحمص والعدس[10]، وإن كان يشرب على الماء السايح كالقصب والقلقاس والأرز فى الدقهلية والمرتاحية[11]، فوجبت عليه زكاة العشر وان كان يسقى بالدوليب فيحصل منه نصف العشر. [12]

([1]) سورة التوبة (الآية 103).
([2]) سورة التوبة (الآية 60).
([3]) سورة الأعلى (الآية 14).
([4]) اخرجه ابن ماجه فى سننه (جـ1، ص 570) ، باب ما أدى زكاته ليس بكنز (3) كتاب الزكاة (8) حديث 1789.
وقال الزبيدى: فى اتحاف السادة المتقين (جـ4، ص 105) ليس فى المال حق سوى الزكاة.
([5]) البخارى : صحيح البخارى (جـ2، ص 216- 217) ، باب وجوب الزكاة.
- النسائى: سننه (جـ5، ص 14- 15) باب مانع الزكاة "كتاب الزكاة".
([6]) ابن النعمان : الجوهرة النيرة ، ص 113.
([7]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ، ص 313.
([8]) تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق، دار الفكر العربى، القاهرة 1965م، ص 107.
([9]) الماوردى : الأحكام السلطانية، ص 99.
([10]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ص 313.
([11]) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 34.
([12]) يحيى بن آدم : الخراج، تصحيح أحمد محمد شاكر، المطبعة السلفية، القاهرة 1347هـ، ص 67.
- ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 313.
- حسن ابراهيم حسن واخرين: النظم الاسلامية: الطبعة الأولى، القاهرة 1939م، ص 279.

وأموال باطنة كالذهب والفضة وأرباح التجارة[1]، وفرضت الزكاة على مواشى أهل برقة التى ترعى فى اقليم البحيرة يقول القلقشندى[2] "ما يؤخذ من العداد من مواشى أهل برقة من الغنم والأبل عند وصولهم بسبب المراعى".

وكذلك فرضت الزكاة على التجار المسلمين عن كل مائتى درهم خمسة درهم ، وإذا اشترى التاجر بهذا المبلغ شيئا وخرج به ثم عاد بمقدار هذا المبلغ لا يدفع منه شيئا حتى يتجاوز الحول. [3]

وكان للزكاة فى مصر فى العصر الفاطمى ديوان يرأسه موظف كبير يدعى متولى الزكاة وكان يعاونه مجموعة من الأعوان بقطيا، فتحصل الزكاة من التجار وتفتش أمتعتهم يقول ابن بطوطة[4] "ويبحث عما لديهم اشد البحث وفيها الدواوين والعمال والكتاب والشهود ويجباها كل يوم الف دينار من الذهب ولا يجوز عليها أحد من الشام إلا ببراءة من مصر ولا إلى مصر إلى ببراءة من الشام " وكذلك كان أعوان متولى الزكاة يصعدون على المراكب الراسية بالاسكندرية لتسجيل أسماء القامين من المسلمين كل فرد على حدة بامتعته لدفع زكاة ما يحمله.

وقد نال الرحالة ابن جنير[5]، الذى زار مصر فى عهد صلاح الدين الايوبى سنة 567هـ/ 1171م من هذه المعاملة القاسية ما انطقه بالشكوى فى عبارات مريرة حادة الأسلوب إذ قال " فوقع التفتيش لجميع الأسباب ما دق منها وما جل واختلط بعضها ببعض وأدخلت إلى أوساطهم بحثا عما عسى ان يكون فيها ثم استحلفوا بعد ذلك... ويمضى ابن جبير قائلا.. ذهب كثير من الناس لاختلاط الأيدى وتكاثر الزحام بعد موقف من الذل والخزى عظيم " وأول من حصل الزكاة فى مصر صلاح الدين الأيوبى[6]، وبلغ متحصلها فى سنة 588هـ/ 1192م اثنين وخمسين الف دينار. [7]

([1]) الماوردى : المصدر السابق، ص 99.

([2]) صبح الأعشى، جـ3، ص 458.

([3]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 457.

- عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر، دار النهضة العربية، القاهرة 1976م، ص 231.

([4]) مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 43- 44.

([5]) الرحلة، ص 45.

([6]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 108.

- محمد مصطفى زيادة: ديوان الزكاة، مجلة الثقافة، العدد 211، يناير 1943، ص 17.

([7]) مجهول: المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 55.

رابعا: المكس: [1]

كان المكس موردا هاما من موارد الدلتا فى العصر الفاطمى، والمكوس هى الرسوم المفروضة على التجارة الداخلية والخارجية وعلى الصناعة، وهى من وضع أحمد بن المدبر الذى ولى خراج مصر بعد سنة 250هـ/ 864م حيث فرض المكوس على الكلا الذى ترعاه البهائم وسماها المراعى وعلى ما يستخرج من البحر وسماها المصايد، وعمل لها ديوانا لمباشرتها مشد وشهود فيرسلهم إلى مختلف البرك والبحيرات واماكن الصيد بالدلتا مثل خليج الاسكندرية وبحيرة نستروا وثغر دمياط وعرفت هذه الأموال بالمرافق، فلما ولى أحمد بن طولون، ابطل هذه المظالم، ثم احياها الفاطميون واصبحت تعرف بالمكوس. [2]

ولقد تعددت وجوه تحصيل المكوس فكان منها العشر والخمس والمتجر فالشعر يحصل من قيمة التجارة التى يأتى بها التجار القادمون من دار الحرب إلى دار السلام، ولكن الامام الشافعى يرى انه يحق للحاكم أن يأخذ أكثر من العشر عند حاجة البلاد إلى نوع من البضائع، وتقل قيمة المكوس إلى نصف العشر[3]، فكانوا يدفعون عشر قيمتها مثل الضريبة الجمركية على الورادات فى الوقت الحاضر. [4]

وأول من شرع هذا النظام الخلفية عمر بن الخطاب فقد كتب إليه ابو موسى الاشعرى[5]، من المسلمين يأتون أهل الحرب، فيأخذون منهم العشر، فكتب إليه عمر فخذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين من كل اربعين درهما درهما وليس فيما دون المائتين شئ فإذا كانت مائتين ففيها خمسة دراهم فما زاد فبحسابه. [6]

([1]) المكس فى اللغة الجباية والمكس دراهم تحصل من بائع السلع فى الأسواق فى الجاهلية. أنظر
- المقريزى : الخطط، جـ2، ص 121.

([2]) البلوى : سيرة احمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، مطبعة الترقى، دمشق، 1939م، ص 43.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 107.

([3]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 459.

([4]) احمد مختار العبادى : الحياة الاقتصادية فى المدينة الاسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلد الحادى عشر، العدد الأول، 1980م، ص 129.

([5]) أبو موسى الاشعرى هو عبد الله بن قيس من قبيلة مذحج اسلم بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة واسند إليه ولاية البصرة فى خلافة عمر بن الخطاب.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى، المجلد السادس، دار صادر، بيروت 1957م، ص 16.

([6]) أبو يوسف: الخراج، ص 143، ابن زنجوية : كتابة الأموال، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق د/ شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث 1986م، ص 209.
- المقريزى : الخطط، جـ2، ص 122.

وكان يقيم بقطيا موظفون لتحصيل العشر من التجار ولا يسمح لأحد بالسفر من مصر إلى الشام إلى مصر إلا بورقة[1]، يقول القلقشندى[2] " قطيا قرية صغيرة بها تؤخذ المرتبات السلطانية من التجار الواردين إلى مصر والصادرين عنها " وكان الخمس يحصل من أهل الذمة، وأشار ابن مماتى[3] إلى ذلك بقوله " عبارة عما يستادى من تجار الروم والواردين على الثغر بمقتضى ما صولحوا عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم ، ما قيمته مائة دينار يصل إلى خمسة وثلاثين دينار وربما انحط عن العشرين دينار ويسمى كلاهما خمسا".

وكان الموظفون القائمون بالعمل والناظر والمشارف وشاهد الخمس يسجلون حمولة المراكب ويوزعون منشورا لكل واحد يحتوى على كافة التفاصيل الخاصة بالخمس. [4]

يقول الدكتور راشد البراوى[5] ، وكان يحصل من البضائع القادمة إلى البلاد، وكان مبلغ ما يدفعه تجار الروم بتراوح بين 10% و 20% و 35% من قيمة السلعة، وكانت ضريبة الوارد تؤخذ على البضاعة نفسها ، والأماكن التى تحصل فيها الرسوم الجمركية بالاقليم دمياط وتنيس ورشيد والاسكندرية.

وجرت العادة ان يحصل الخمس مرة واحدة فى السنة حتى لو فرض ان التاجر تردد عدة مرات بعد عودته إلى بلدة خلال السنة[6]، وبلغ متحصل الخمس فى الاسكندرية 28623 دينار 588هـ/ 1192م. [7]

وفيما يختص (بالمتجر) فقد اعتاد الفاطميون ان يشتروا بعض السلع القادمة مع التجار الأجانب الوافدين إلى مصر، عندما تحتاج الدولة وتخصم قيمة هذه البضائع من الرسوم المفروضة على التاجر وفى حالة ارتفاع ثمنها عن الضريبة المطلوبة منه تتحمل الدولة الثلث ذهبا وتبعية سلعا بحث الثلثين وفى اغلب الأحيان كانت تمنحه الشب بحق الثلثين لحاجة التجار الأجانب الملحة على شراء الشب لأهميته فى صناعة الصاغة، واحتفظت الدولة الفاطمية بفرض سيطرتها على مناجم الشب بحقها فى شرائه وبيعه، ومنعت الأفراد من التجارة فيه. [8]

وبنوه المقريزى[9] بكثرة المكوس بالدلتا إذ يقول " ستمائة وستة وسبعون دينار رسوم العلب المنسوبة إلى بلبيس، والبورى مائة دينار رسوم التفتيش بالصناعة من البهار،

([1]) ابن دقماق: الانتصار، ص 52- 53.
([2]) صبح الأعشى، جـ3، ص 377.
([3]) قوانين الدواوين، ص 326.
([4]) المخزومى : المنهاج، ص 45- 46.
([5]) حالة مصر الاقتصادية، ص 347.
([6]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 463.
([7]) مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 55.
([8]) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 327- 329.
([9]) الخطط ، جـ1، ص 213.

واجب الحلى الوارد من الوجه البحرى، والقطن الف وعشرون دينارا رسم السمسرة، الصف الف ومائتا دينار خاتم الشرب والدبيقى الف وخمسمائة دينار مسلحة شطنوف والبرانية مائتا دينار".

وترتب على كثرة الضرائب المفروضة، والتى اثقلت أعباء المصريين أن أصدر الخليفة الحاكم بأمر الله مرسومين فى غاية الأهمية الأول صدر فى سنة 387هـ/ 997م برفع المكوس على السفن القادمة إلى مدينة القلزم[1] ، والثانى رفع المكوس عن البلاد عما يباع فيها. [2]

ويعلق الدكتور راشد البارى[3] على سياسة الحاكم فى رفع المكوس عن البلاد بقوله ان الدافع لسلوكه هذا اجتذاب قلوب الناس والحرص على اكتساب تأييدهم بعد ادعائه الألوهية فأمر باسقاط بعض المكوس.

وأصبحت الاسكندرية فى العصر الفاطمى، أهم مراكز جباية المكوس فى البحر المتوسط ففرضت على التجارة الواردة إليها والصادر عنها فانتعشت الاسكندرية اقتصاديا بسبب هذه الرسوم[4] يقول المقدسى[5] "تؤخذ المكوس فى الاسكندرية على مراكب الغرب" وكان يحصل الخمس فى ثغر الاسكندرية وثغر دمياط على مراكب الفرنج والروم، وهو ضعف العشر. [6]

([1]) المقريزى : الخطط، جـ1 ، ص 213.
- اسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار، جـ2، ص 76.
- مدينة القلزم تقع على ساح لالبحر الأحمر ابن حوقل: صورة الارض، ص 135.
- ناصر خسرو : سفرنامه، ص 45، وابن الوردى: فريدة العجائب، ص 123.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 388، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 213.
- الحميرى : الروض المعطار، ص 466.
- وتخلو مدينة القلزم من الشجر والزرع وهى فى منطقة جدباء تحمل إليها الماء من أبار بعيدة وهى فرضة مصر والشام وترسل منها الحمولات إلى الحجاز واليمن.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 213.

([2]) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ4، ص 117.
- عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1959م، ص 63.

([3]) حالة مصر الاقتصادية، ص 342.

([4]) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها، الطبعة الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1961م، ص 113.

([5]) احسن التقاسيم ، ص 213.

([6]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 459.

كما أسند إلى عمال ديوان المكوس بالاسكندرية مهمة الاشراف على تحصيل الخمس من السفن التى ترسو فى رشيد بفعل الرياح لأن رشيد ليس بها خمس. [1]

وبلغ متحصل ثغر الاسكندرية من الخمس حوالى 28613 دينار سنة 587هـ/ 1191م[2].

كما تمتعت مدينة تنيس بمكانة مرموقة فى جباية المكوس فى العصر الفاطمى، فشهدت ارتفاعا باهظا فى الضرائب، وتجرى للسفن عملية تفتيش عند اقلاعها، ويحصل على زق الزيت دينار[3]، كما فرضت المكوس على جميع الداخلين والخارجين إلى تنيس. [4]

وساهمت دمياط بدور هام فى جباية المكوس يقول ابن مماتى[5] " وحكم ما يجرى فى المتجر فى دمياط وتنيس يندرج بحسب حكم الاسكندرية وبينهم فرق فى بعض الضرائب.

وتعتبر الفرما مركزا هاما لجباية المكوس بالدلتا فهى فى ملتقى الطرق[6] ، ويفد إليها التجار بطريق البر أو البحر يقول ابن حوقل[7] " يردها التجار فى البر والبحر ليلا ونهارا" وهى فرضة لمختلف التجار من كافة أنحاء العالم[8]، يقول المقدسى[9] " تؤخذ المكوس بالفرما على مراكب الشام".

وكانت قطيا من مراكز تحصيل المكوس يقول العمرى[10] " وجعلت لأخذ الموجبات وحفظ الطرقات، وأمرها مهم ومنها يطالع بكل وارد وصادر".

ولما كانت المكوس تمثل موردا هاما من موارد الدولة الفاطمية، بالاقليم أنشأ الفاطميون ديوانا عرف " بديوان الثغور". [11]

ولم يستمر الحال على ذلك فى العصر الأيوبى فأصدر صلاح الدين مرسوما سنة 568هـ/ 1172م بالغاء جميع المكوس من الديار المصرية. [12]

([1]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ، ص 327.
([2]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 109.
([3]) المقدسى : احسن التقاسيم، ص 213.
([4]) ابن حوقل: صورة الارض، ص 143.
([5]) قوانين الدواوين ، ص 327.
([6]) المقدسى : احسن التقاسيم، ص 195.
([7]) صورة الارض، ص 136.
([8]) ابن زولان فضائل مصر (مخطوط) ورقة 17.
([9]) احسن التقاسيم ، ص 213.
([10]) التعريف بالمصطلح الشريف، ص 175.
- القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 401.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ14، ص 377.
([11]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 491.
([12]) ساويرس: تاريخ بطاركة الكنسية المصرية، المجلد الثالث، الجزء الثانى، نشر انطوان خاطر ، القاهرة، 1970م، ص 61.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 104.

خامسا: الأحباس:

كانت الأحباس من الموارد المالية بالاقليم، وهى من الأموال المرصدة لجهات البر كالمساجد والجوامع[1]، والأحباس وظيفة عالية الشأن وكان صاحبها يتصرف فى رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من أراضى الموقف[2] المخصصة بمصر على سبيل البر والصدقات[3]، وفى العصر الفاطمى كان يتولى أمر الأحباس قاضى القضاة بأمر الخليفة المعز لدين الله فى سنة 363هـ/ 974م الذى طلب من المنتفعين اظهار الوثائق التى تدل على أحقيتهم فى ريع هذه الأوقاف ، ولم يلبث بعد شهرين ان اسند إلى محمد بن القاضى أبو الطاهر محمد بن أحمد بمهمة جباية أموال الأحباس فى مقابل أن يتعهد بدفع الف الف وخمسمائة درهم سنويا إلى المستحق حقوقهم ويحمل ما بقى إلى بيت المال. [4]

واستفادت الدولة الفاطمية من مناطق الأحباس بالاقليم فهناك الحبس الجيوشى فى البر الشرقى فى بهتين والأميرية[5]، التى حبسها بدر الجمالى حيث سجلها للمزارعين يلتزمون بدفع المبالغ المستحقة عليهم بالنقد وكان يحصل من فدان الكتان ثلاث دنانير ونصف. [6] وكانت هناك مصانع موقوفة بتنيس. [7]

وكان ديوان الأحباس من الدواوين الهامة فى العصر الفاطمى يقول القلقشندى[8] " ان الخدمة فى ديوان الأحباس لا يخدم فيها إلا أعيان كتاب المسلمين من الشهود المعدلين وفيها عدة مدراء بسبب أرباب الرواتب وكان فيها كاتبان ومعينان لنظم الاستمارات ويورد استمارة كل ما فى الرقاع والرواتب وما يجبى له من جهات كل من الوجهين القبلى والبحرى".

([1]) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 357.

([2]) وقف الشئ وحبسه واحبسه وسبله بمعنى واحد وجميع الوقوف وقف وتسمية الوقف وقفا بمعنى انه وقف على تلك الجهة لا ينتفع به غيره. انظر:
محمد أمين صالح: النظام المالى والاقتصادى فى الاسلام، الطبعة الأولى، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، 1984م، ص 152.

([3]) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ4، ص 38.

([4]) المقريزى : الخطط، جـ2، ص 295.
- محمد محمد امين : الأوقاف الحياة الاجتماعية فى مصر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م، ص 52.

([5]) من بلاد الضواحى المجاورة للقاهرة، ابن الجيعان : التحفة السنية، ص 6.

([6]) ابن مماتى: المصدر السابق، ص 336- 337. المقريزى : المصدر السابق، جـ1، ص 110.

([7]) ناصر خسرو : سفرنامه، ص 39.

([8]) صبح الأعشى، جـ3، ص 490.

سادسا: المستغلات:

كانت المستغلات من موارد الدولة الفاطمية فمنها المعادن التى احتكرت الحكومة الفاطمية مناجمها بالدلتا وفى مقدمتها النطرون الذى يكثر بالاقليم وينقسم إلى نوعين أحمر وأخضر[1]، ويشتد الطلب على الخضر وللنطرون فائدة عظيمة فستعمله الجباك فى القماش[2]، ويدر دخلا كبيرا للدولة، ونستدل على ذلك من قول القلقشندى[3] : " لا تعرف فى الدنيا بركة يستغل منها نظيرها فانها نحو ماية الف دينار" كما احتكرت الدولة الفاطمية الغروس بالغربية، وهى الأراضى التى لا يصلها ماء الرى ويتقبلها الأهالى من الدولة بمبلغ معروف عن كل فدان، ويؤدى المتقبل ما يضاف عليه من زيادة[4]، واحتكرت الجسور لشدة حاجة الأهالى إليها لتنظيم مياة الرى لذلك فرض على كل قطعة حوالى عشرة دنانير وجنت الدولة من ذلك أموالا طائلة[5]، وكانت مناطق الجسور فى الغربية وجزيرة قويسنا والشرقية[6]، واحتكرت الدولة دار العيار وهو المكان المخصص لضبط الموازين والمكاييل فى مقابل رسوم معينة فعادت على الدولة بأموال كثيرة. [7]

وكانت الأتيان من المستغلات حيث يخصص لها موظف لجمع تبن مصر حيث يقسم إلى ثلاثة أقسام الديوان والمقطع والفلاح أو يأتى من سائر الاقاليم وينطبق ذلك على الدلتا حيث ينتشر بها زراعة القمح وتحصل الدولة رسوما حوالى أربعة دنانير وسدس عن كل مائة حمل. [8]

كما استفادت الدولة من دار الضرب بالاسكندرية وتنيس ويشرف عليها قاضى القضاء ويحصل منها أموال طائلة. [9]

واحتكرت الدولة الفاطمية محصول القرظ حيث كانت تنتشر بقليوب البساتين وأشجار السنط بكثرة وهى بيت مال المسلمين ليس لأحد فهيا اختصاص، كان لها ديوان وقد أهملها أولوا الأمر وصار الناس يقطعون منها ما يختارونه ويحضرونه إلى ساحل السنط

([1]) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 334.
([2]) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 35.
([3]) صبح الأعشى، جـ3، ص 284.
([4]) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 342، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 110.
([5]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ، ص 342، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 110.
([6]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ، ص 343.
([7]) ابن مماتى: المصدر السابق، ص 333.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 110.
([8]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 110.
([9]) المقريزى : المصدر السابق والصفحة.

عن الثلث المقرر للديوان بشئ يسير ويبيعونه بأموال كثيرة، وكان بقليوب وضواحيها سنط يساوى مائة الف دينار. [1]

ويؤكد المقريزى[2] على أهمية القرظ بقوله: " وكان الديوان مسئولا عن بيع القرظ وكانت المراكب تنقله ويمضى قائلا وكان القرظ يصادر إذا عثر مع أحد على شئ منه".

سابعا: المواريث الحشرية:

كانت المواريث الحشرية من موارد الدولة، وهى الأموال التى يموت أصحابها بلا وارث شرعى لها فتؤول إلى بيت المال[3] بعد ان تخصم منها نفقات الدفن والديون والأموال الموصى بها إذا وجدت وردة إليه باقى الميراث إذا كان الوارث لا يستحق جميع الميراث. [4]

ولعل من الأسباب التى تجعل المواريث الحشرية موردا شبه ثابت ما كان يحدث فى أوقات الأوبئة من موت أعداد كبيرة من الناس لذلك تحولت ملكيتهم إلى بيت المال خلال الشدة المستنصرية (457هـ- 464هـ) [5]، ويورث الشيعة الأقرب إلى البيت سواء كان ذكرا أم أنثى بحسب الدرجة فالدرجة الأولى عندهم الوالدين والأبناء والدرجة الثانية الأجداد والأخوة والأخوات[6]، واتخذ الفاطميون ديوانا للمواريث عرف بديوان المواريث الحشرية[7] وفى بعض الأحيان يلجأ الموظفون إلى جميع أموال المواريث الحشرية فى جيوبهم الخاصة لعدم ارسالهم التذاكر بأسماء المدينين فى حالة وجود أصول للشخص المتوفى لدى اشخاص متفرقين فى اقاليم الديار المصرية. [8]

ومن الثابت أن ديوان المواريث الحشرية فقد أهميته بعد العصر الفاطمى يقول المقريزى[9] " فلما انقضت أيامهم وأستولت الدولة الأيوبية ثم الدولة التركية صار من جملة

([1]) النابلسى : لمع القوانين، تحقيق كولد كوهن، القاهرة، 1960م، ص 48.

([2]) الخطط، جـ1، ص 111.

([3]) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 460، السيد الباز العرينى: مصر فى عصر الأيوبين، ص 193.
- حسين ربيع : النظم المالية فى مصر زمن الأيوبين، القاهرة، 1964م، ص 91.
- حورية عبده سلام: النظام المالى فى مصر زمن الفاطميين، دار الفكر العربى، القاهرة، 1980م، ص 38.

([4]) محمد محمد امين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة، 1980م، ص 93.

([5]) راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية، ص 350.

([6]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ص 319- 320.

([7]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 491.

([8]) حسنين ربيع : النظم المالية، ص 91.

([9]) الخطط، جـ1، ص 111.

أموال السلطان مال المواريث الحشرية وهى التى يستحقها بيت المال عند عدم الوارث فتعدل فيها الوزارة مرة وتظلم مرة اخرى.

ثانيا: المصروفات:

تفتقر الدراسات التاريخية فى العصر الفاطمى إلى وجود السجلات الرسمية التى تبين وجوه الانفاق والمصروفات، ولم يهتم المؤرخون بهذه الناحية سالفة الأهمية، وكل ما ورد لنا عن هذا العصر بيانات مبعثرة عن رواتب كبار الموظفين، وغيرهم فى العاصمة من المتصلين بخدمة الخليفة والعمل فى القصور ولم يهتم المؤرخون بما كان ينفق على الأعمال العامة كبناء القصور والمساجد والمبانى الحكومية، وأعمال الرى وطرق المواصلات، كما أنهم اغفلوا توضيح حالة موظفة الاقاليم من الولاة وكيفية الحصول على مرتباتهم واكتفت المصادر بالاشارة إلى أن العمال الذين يقومون بالعمل فى الدواوين كديوان أسفل الأرض وديوان الثغور يتقاضون مرتبات ولم نعرف مقدارها، لكى نربط بين مستوى المعيشة والحالة الاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى، وسنلقى بعض الضوء على بعض أبواب المصروفات بقدر المستطاع، ونعترف بأن المادة العلمية المتاحة فى هذه الناحية ناقصة إلى حد كبير.

(1)الرواتب:

ذكر القلقشندى[1] ثبتا برواتب الوزراء وحواشى الخليفة وكبار الموظفين ومن دونهم فى مصر آنذاك، ذلك الثبت نستطيع أن نعممه على الدلتا فى العصر الفاطمى:

أرباب الوظائف	المبلغ فى الشهر مقدار بالدينار
الوزير	5000
من يليه من ولد وأخ	300-200
صاحب بيت المال	100
حامل الرسالة	100
صاحب الدفتر	100
شاد التاج	100
زمام الاشراف والاقارب	100
صاحب المجلس	100

([1]) صبح الأعشى، جـ3، ص 521- 523.

اثنان من أطباء الخاص يتناول كل منهم خمسين دينارا	100
لكل طبيب آخر من المقيمين بالقصر	10
كاتب الرست	15
لكل واحد من كتابة	30
الموقع بالقلم الدقيق	100
صاحب الباب	120
حامل السيف	70
حامل الرمح	70
بقية الأزمة على العساكر والسودان	30-40-50
قاضى القضاة	100
داعى الدعاة	100
لكل واحد من قراء الحضرة	20-15
أرباب الدواوين ومن يجرى مجراهم	
متولى ديوان النظر	70
متولى ديوان التحقيق	50
متولى ديوان المجلس	40
متولى ديوان الجيوش	40
صاحب دفتر المجلس	35
الموقع بالقلم الجليل	30
لكل معين فى المجالس والدواوين	10-7-5
لكل من المستخدمين فى ولاية القاهرة ومصر	5
للحماة بالاهرام والمناخات والجوالى والبساتين وغير ذلك	20-15-10-5
فراشو القصور	30
فيه عدة الفراشين رسم خدمة الخليفة والقصور لكل منهم فى الشهر	
ومن يليهم من الرشاشين داخل القصر وخارجه وهم ثلاثمائة رجل لكل منهم	10-5

صبيان الركابية لكل مقدم فى الشهر والمركابين	50 15-10-5

وكان ولاة الاقاليم بالدلتا يتقاضون مرتبات، وبطبيعة الحال كانت مرتفعة لمكانتهم وللأسف لم نعرف مقدارها فكان والى الشرقية يمتد نفوذه إلى بلبيس وقليوب وأشموم وكان والى الغربية يحكم عمل المحلة ومنوف وأبيار وكذلك والى الاسكندرية يحكم عمل البحيرة[1]، ومن المؤسسات الإدارية بالدلتا التى تكلفت أموالا طائلة مرتبات عمال ديوان الثغور كدمياط والاسكندرية، ونستروه والبرلس والفرما وديوان أسفل الأرض حيث يشمل على " عدة كتاب فروع والاستيفاء مقوم بنيهم وعليهم عمل، التذاكر بطلب ما تأخر من الحساب وصاحب هذا الديوان يترجمها بخطة ويحملها إلى صاحب الديوان الكبير فيوقع عليها بالاسترقاع ويندب بها من الحجاب أو غيرهم من يراه وله مياومة يأخذها من المستخدمين مدة بقائه عندهم ويحضروا نسخا للدواوين الأصول". [2]

(2)المنشأت الخاصة بالزراعة:

على الرغم من التكاليف الباهظة التى تكلفتها مشروعات الرى والانفاق على كثير من الخلجان والترع والجسور بالوجه البحرى[3]، فقد حرص الخلفاء الفاطميون على أهمية الثروة الزراعية باعتبارها المصدر الرئيسى للاقتصاد المصرى منذ فجر التاريخ فعندما كانت المياه لا تصل إلى البلاد الشرقية إلا من الصماصم والسردوس شرعوا فى حفر خليج أبو المنجا[4] الذى استغرق الحفر فيه لمدة عامين وتكلف أموالا باهظة يقول المقريزى[5] " فعندما عرض أمر الخليج على الأفضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال عزمنا هذا المال جميعه والاسم لأبى المنجا" كما اهتم الخليفة الحاكم بأمر الله فى سنة 404هـ/ 1013-104م بتطهير خليج الإسكندرية وانفق عليه حوالى عشرة آلاف دينار.

([1]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 494.

([2]) القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 491.

-ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، جـ1، ص 148.

([3]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ص 206، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 70؟

([4]) ابن المأمون : اخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسى للاثار الشرقية، القاهرة 1983م، ص 12.

- ابن دقماق: الانتصار، ص 46.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 488.

([5]) الخطط، جـ1، ص 171.

وبالطبع فان مشروعات الرى تحتاج إلى موظفين يتقاضون مرتباتهم مهمتهم الإشراف على وسائل تنظيم المياه كما هو الحال بجزيرة بنى نصر حيث يوجد موظف لهذا الغرض[1]، ولم تقتصر عناية الفاطميين على حفر الخلجان بل اهتموا بتعبيد الطرق فانشأو جسرا من التراب ليسير عليه الأهالى من أول الديار المضرية إلى آخرها كلف الخزانة الفاطمية عشرة آلاف دينار سنويا لصيانته وتجدد عمارته. [2]

(3)المنشأت الدينية والتعليمية:

وتكلفت المنشأت الدينية والتعليمية أموالا كثيرة، فاهتمت الدولة بتشييد المساجد فى سائر الاقليم ومنها مسجد العطارين بالاسكندرية[3]، ومسجد الغمرى بالمحلة[4]، وكانت تحتاج تلك المساجد إلى نفقات الاضاءة والفرش كالحصير والسجاجيد ورواتب القائمين بالعمل فى المسجد[5]، كما انتشرت المدارس فى كافة مدن الاقليم، فى بلبيس[6] ، ودمياط[7]، وجزيرة بنى نصر[8]، والمحلة[9]، ودمنهور[10].

(4)المنشأت الحربية:

اهتمت الدولة الفاطمية بالمنشأت الحربية لحماية سواحل الدلتا من هجوم البيزنطيين والصليبين فانشأت دورا لصناعة السفن فى دمياط[11]، والاسكندرية. [12]

كما يشير القلقشندى[13] إلى اهتمام الفاطميين بالأسطول بقوله " أما اهتمامهم بالأسطول وحفظ الثغور واعتناؤهم بأمر الجهاد، فكان ذلك من أهم أمورهم وأجل ما وقع الاعتناء به عندهم، وكانت اساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالاسكندرية ودمياط.

([1]) ابن مماتى: قوانين الدواوين ، ص 219- 220.
([2]) ناصر خسرو : سفرنامه، ص 43.
([3]) ابن ظافر: اخبار الدول، ص 77.
([4]) حسن الباشا: الفنون الاسلامية ، الجزء الثانى ، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 846.
([5]) ناصر خسرو: سفرنامه، ص 65.
([6]) الوطواط: مباهج الفكر، ص 119، ابن دقماق: الانتصار، ص 51.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 401.
([7]) ابن دقماق: الانتصار، ص 81.
([8]) الوطواط: مباهج الفكر، ص 111.
([9]) ابن دقماق: الأنتصار، ص 82. والقلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 406.
([10]) ياقوت : المشترك، ص 182، وابن دقماق: الانتصار، ص 101.
([11]) المقريزى : الخطط، جـ2، ص 189.
- جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط، القاهرة 1949م، ص 14- 15.
([12]) المقريزى : الخطط، جـ2، ص 189.
([13]) صبح الأعشى، جـ3، ص 519.

ويضاف إلى ذلك تكاليف الحملات الحربية التى أعدت لصد هجوم الصليبين على ثغر دمياط، فلقد انفق العاضد (555هـ/ 1160م ، 567هـ/ 1171م) حوالى ألف الف دينار لهذا الغرض. [1]

(1) ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص 144.
- ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، جـ2، ص 111.
- المقريزى : الخطط، جـ2، ص 215.
- المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ3، ص 316.
- ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، جـ1، ص 85.

الفصل الثانى
الزراعـــــة

أولاً : الري

(1) مصادر المياه :

كانت الزراعة في مصر في العصر الفاطمي ، تعتمد على مياه النيل اعتمادا كليا على حد قول الجغرافيين[1] العرب " وزروعهم بماء النيل فتعم المزارع من حد أسوان إلى حد الاسكندرية ، ويقيم الماء في أرضهم بالحوف والريف " .

والبحيرات من أهم مصادر المياه بالاقليم ، وهي مسطحات مائية تساهم في زراعة المناطق المحيطة بها ، ومن أهمها بحيرة تنيس التي تمتلئ بمياه نهر النيل في فصل الصيف [2] ، ويتفرع منها نهر اشموم ، وهو أحد فروع النيل الشرقي وكذلك بحيرة نستروه وبوقير التي تتصل بخليد الاسكندرية [3] .

ولا تشكل الأمطار مصدراً ثابتاً للري فإنها تسقط على الشريط الساحلي للدلتا يقول اليعقوبي [4] " أرض مصر لا تمطر اليسير الأماكن منها على الساحل " في دمياط والاسكندرية [5] ، ويقول المقدسي [6] " الاسكندرية كثيرة الأمطار " وقامت الزراعة في أطراف البحيرة على الأمطار [7] واستفاد أهل الفرما من الأمطار فدرجت عادتهم على تخزينها في جباب [8] .

وبالرغم من سقوط الأمطار ، فإنها لا تكفي للزراعة يقول النويري[9] " ليس به أمطار كثيرة ولا عيون جارية تعم أراضيه " بل يعتقد البعض بأن من عيوب مصر سقوط الأمطار لتلفها للزرع [10] .

---

(1) الاصطخري : المسالك ، ص 40 ، وابن حوقل : صورة الأرض ، ص 138 .
- الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 324 .
(2) الاصطخري : المسالك ، ص 41 ، وابن حوقل : صورة الأرض ، ص 146 .
- الإدريسي:نزهة المشتاق،ص 337 ، والبغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ 1 ، ص 279 .
(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 303 – 304 .
(4) البلدان ، ص 340 .
(5) عبد اللطيف البغدادي : الإفادة ، ص 16 .
(6) احسن التقاسيم ، ص 197 .
(7) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 16 .
(8) البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ 3 ، ص 1030 – 1031 .
(9) نهاية الأرب ، جـ 8 ، ص 246 .
(10) الثعالبي : لطائف المعارف ، ص 162 .
ابن الفقيه : البلدان ، ص 74 .

(2) نظام الفيضان وأوقاته :

لا جدال في أن الزراعة المصدر الرئيسي للاقتصاد منذ فجر التاريخ ، ونجاحها واستقرار الحياة فيها يتوقف إلى حد كبير على فيضان النيل شريان الحياة فإذا كان الفيضان مرتفعا أدى إلى اغراق الأرض وتلف المحصول وهلاك النسل ودمار البيت وفي كل من الحالتين تصبح البلاد مهددة بشبح القحط الذي يعقبه الوباء فمن الضروري دراسة الحد اللازم لري البلاد حتى لا تجدب والحد اللازم الذي يؤدي إلى اغراق البلاد واتلاف الزرع ثم نعرض لاراء المؤرخين العرب في ذلك [1] .

ويشير المسعودي [2] الذي عاش قبيل العصر الفاطمي ويأخذ عنه طلا من القلقشندي ت 821 هـ / 1418 م والمقريزي ت 845 هـ / 1441 – 1442 م إلى حد الري والاغراق فحدد الزيادة إلى ستة عشر ذراعا تمام الخراج وخصب البلاد وسبعة عشر ذراعا فهي أتم الزيادة كلها والعامة النفع للبلد كله " وفي حالة زيادته إلى ثمانية عشر استبحر من أرض مصر الربع وفي ذلك ضرر لبعض الضياع بسبب الاستبحار وفي حالة انخفاض منسوب المياه إلى ثلاثة عشر ذراعا أو أربعة عشر وزيادة نصف ذراع فوق الخمسة عشر سقى الناس بمصر ويشمل الضرر كل البلدان مصر ، باستثناء بعض الأماكن في حد السقى وعندما يرتفع إلى ستة عشر كان فيه صلاح لبعض الناس ويؤدي إلى نقص خراج السلطان.

وناصر خسرو [3] الذي زار مصر في عهد الخليفة المستنصر بالله 487 هـ / 1094 م ذكر أن ثمانية عشر ذراعا هي الزيادة المعهودة وإذا قلت عن ذلك قيل أن النيل ناقص " ويذكر شعور الأهالي إذا زاد عن ذلك فيفرحون ويظهرون الغبطة وما لم يصل الارتفاع إلى ثمانية عشر ذراعا لا يأخذ السلطان خراج " .

والادريسي [4] (ت 549 هـ / 1251 م) الذي زار مصر قبيل نهاية العصر الفاطمي يذكر أنه في حالة ارتفاع النيل إلى ثمانية عشر ذراعا تسقى جميع الأراضي وإذا بلغ عشرين ذراعا فهو ضرر ، وأقل زيادته تكون أثنى عشر ذراعا مما زاد على الثمانية عشر صفر وبذلك يشير الادريسي إلى الزيادة الصغرى باثنى عشر ذراعا والزيادة العظمى بحوالي اثنين وعشرين .

---

(1) محمد محمود ادريس : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 65 .
(2) مروج الذهب ، جـ 1 ، ص 342 .
(3) سفر نامه ، ص 42 .
(4) نزهة المشتاق ، ص 325 .

أما ابن مماتي المتوفي سنة 606 هـ / 1209- 1210 م والذي كان معاصرا للفاطميين وعمل في دواوين الدولة الفاطمية فقال " إذا وفى النيل سنة عشر ذراعا فقد وجب الخراج وإذا زاد عن ذلك ذراعا زاد الخراجماية ألف دينار ، فإن نقص ذراعا نقص الخراج ماية ألف دينار".

وبذلك يربط ابن مماتي [1] تحصيل الخراج بزيادة منسوب النيل إلى الستة عشر ذراعا ، وعند زيادتها ذراعا يرتفع الخراج ماية ألف دينار .

ويشير عبد اللطيف البغدادي [2] الذي زار مصر بعد الفاطميين بقليل إلى الفيضان فيقسمه تقسيما واضحا حيث جعل للفيضان نهايتين وهما " نهاية الضرورة ونهاية الافراط وبينهما بدايتين هما " بداية الضرورة وبداية الافراط" فنهاية الضرورة هي الحد الأقصى للماء اللازم لري البلاد وهي ثمانية عشر ذراعا ، أما نهاية الافراط وهي عشرون ذراعا تصل في بعض الأحيان إلى أحدى وعشرون ذراعا ، وأما بداية الافراط فهي ما قل عن نسبة الستة عشر ذراعا هي " ماء السلطان " الذي عنده يستحق الخراج وتسقى هذه النسبة نصف الأراضي الزراعية في مصر وتغل ما يكفي اهل البلاد قوت عامهم في سنة ويتم ري باقي البلاد بما يزيد عن الستة عشر ذراعا حتى وإذا وصلت المياه إلى ثمانية عشر ذراعا رويت كل الأراضي وانتجت ما يكفي أهل البلاد سنتين فأكثر .

ونستنتج من عرض هؤلاء المؤرخين إلى أن الحد الأدنى للري كان هو ستة عشر ذراعا والحد الاقصى ثمان عشر ذراعا وهما الحدان اللازمان لري أراضي مصر في العصر الفاطمي ، فإذا نقص عن ذلك او زاد عن الحد الاقصى كان القحط والوباء [3] .

وفيما يختص بمواعيد زيادة النيل ، فتبدأ الزيادة في شهر مسري (اغسطس)[4] .

ويشرح ناصر خسرو [5] نظام الفيذان بقوله " يتزايد الماء اربعين يوما من بدء الفيضان إلى ان يبلغ ثمانية عشر ذراعا ، ويبقى على هذا اربعين يوما، حتى يصل إلى الحد الذي كان عليه في الشتاء ، وحينما يبدأ الماء في التناقص يتبعه الزراع ، فكلما جفت بقعة زرعوها الزرع الذي يريدون ، وعلى هذا النحو زرعهم الصيفي والشتوي فلا يتطلب ماء آخر قط ".

(3) فروع النيل :

اهتم المصريون منذ فجر التاريخ بنظام الري وعمارة البلاد ، واستمر اهتمامهم حتى مستهل الفتح العربي لمصر فعندما سأل عمرو بن العاص المقوقس عن مصر من أين تأتي

---

(1) قوانين الدواوين ، ص 26 .
(2) الافادة ـ ص 77 – 78 .
(3) محمد محمود أدريس : مرجع سابق ، ص 69 .
(4) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 325 .
(5) سفر نامه ، ص 43 .

عمارتها ؟ وفرد المقوقس عمارتها " تحفر في كل سنة خلجانها وتسد ترعها وجسورها " [1] وكانت العناية بالترع والقناطر والجسور من أهم أمورهم لري البلاد وزراعتها . ويتفرع نهر النيل عند مدينة شطنوف إلى فرعين يصبان في البحر المتوسط أحدهما شرقي فرع دمياط والآخر غربي فرع رشيد [2] .

أ- فرع رشيد :

يخرج فرع رشيد من النيل ويتجه يمينا إلى الشمال ويتفرع عند شطنوف ويعرف عند العرب بأنه عمود النيل [3] ، ويؤكد محمد صفي الدين صحة هذه الحقيقة بأن نصيب فرع رشيد من مياه الفيضان يعادل فرع دمياط مرة ونصف [4] ويستمر هذا الفرع في الانحدار إلى الشمال وعند فوه ينقسم إلى قسمين يحصران بينهما جزيرة الراهب ثم ينصلان عند سنديون شمال فوة بخمسة عشر ميلا [5] ، ويبلغ طول فرع رشيد حوالي 235 كيلو متر [6] .

ثم يتابع النيل مجراه في هذا الفرع ليصب عند رشيد ويبلغ طول نهر النيل من منبعه إلى مصبه عند رشيد حوالي 2244 ميلا [7] ، ويخرج من فرع رشيد خليج الاسكندرية [8] .

ب- فرع دمياط :

يتفرع عند شطنوف ويتجه شمالا على يسار الوادي وينزل من شطانوف إلى أسفل الأرض ، ويتصل بالبحر [9] من شمال انتوه يتفرع شرقي يمثل جزء من فرع دمياط الحالي منها إلى أن يصل إلى دمسيس[10] أما الفرع الغربي فيتجه من انتوهي إلى مليج [11] ثم

([1]) ابن عبد الحكيم : فتوح مصر ، ص 161 ، والكندي : فضائل مصر ، ص 57 .
المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 74 .

([2]) التطيلي:رحلة بنيامين،ص147،ياقوت،معجم البلدان،جـ3 ، ص 344 .
- الخالدي : المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 83 ، والبغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ 1 ، ص 798 .
-المحلي : مبداء النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 25 ، وابن عبد السلام: الفيض المديد (مخطوط)، ورقة 4 . - ابو السرور : قطاف الازهار (مخطوط) ورقة 6 .

(3)الدمشقي: نخبة الدهر ، ص 59 ، والنويري : نهاية الأرب ، جـ 1 ، ص 262 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 54 .

(4) محمد صفي الدين : مورفولوجية الأراضي المصرية ، ص 223 .

(5) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 342 .

(6) Fisher : Physical and Social Geagraphy London 1978 p.277

(7) المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 54 والمحلي : مبدأ النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 20 .

(8) الحجازي : النيل الرائد في النيل الزائد (مخطوط) ورقة 14 – 15 .

(9) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 343 .

(10) دمسيس : من أعمال جزيرة قوسينا . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 133 .

(11) مليج من أعمال المنوفية . انظر ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 188 .

ينتهي إلى شبرا [1] وعند شبرا ودمسيس يلتقي هذان الفرعان في مجرى واحد وعند طرخا[2] ينقسم إلى فرعين احداهما يتجه إلى تنيس والثاني إلى دمياط حيث يصبان في البحر في منطقة الأشتوم [3] ويرتفع منسوب فرع دمياط بحوالي مرتين عن فرع رشيد [4] ، ويقول Fisher [5] ويبلغ طول فرع دمياط حوالي 240 كيلو متر وعرضه عن دمياط حوالي مائة ذراع[6] .

اهتم المصريون بحفر الترع وإقامة الجسور وصيانة السدود للتحكم في مياه النيل لتصل لشل الأراضي ، ولانخفاض أرض الدلتا ، تحتاج إلى تشيد الجسور لحفظ المياه يقول المقريزي [7] " وفي أسفل الأرض إلى عمل الجسور حتى يحبس الماء ليروي أهل النواحي على قدر حاجتهم عند الاحتياج " .

وكان لنيل مصر قطيعة على كور مصر مائة ألف وعشرين ألف رجل معهم المساحي والالات سبعون ألفا للصعيد وخمسون ألف لأسفل الأرض لحفر الخليج وإقامة الجسور والقناطر وسد الترع [8] .

كما شيدت على الترع القناطر والجسور للتحكم في توزيع المياه لتنجو من الغرق " بتقدير وتدبير" [9] وعندما تنتهي زيادة النيل تفتح الخلجان والترع لتوفير المياه إلى كافة الأماكن البعيدة عن مجرى النهر[10] حيث يتفرع منه فروع كثيرة ويتفرع منها ترع صغيرة [11] لذلك كانت أكثر الخلجان والترع والجسور بالوجه البحري [12] ، وكان بمصر سبع

---

(1) شبره المقصود بها شبرا بلس ومكان هذا الجزء الآن بحر شبين انظر محمد محمود ادريس : الحضارة الإسلامية ، ص 72 حاشية (40) .
(2) طرخا المقصود بها مدينة طلخا الآن . محمد محمود ادريس : الحضارة الإسلامية ص 72 حاشية (41) .
(3) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 337 .
(4) محمد صفي الدين : مورفولوجية الأراضي المصرية ، ص 223 .
(5) Fisher : op cit p.227
(6) القزويني : أثار البلاد ، ص 193 .
(7) الخطط : جـ 1 ، ص 56 .
(8) الكندي:فضائل مصر ، ص 59 – 60 والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 74 .
- المحلي : مبدأ النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 6 .
- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ1 ، ص 47 ، والسيوطي : حسن المحاضرة ، جـ 1 ، ص 86 .
- الأسدي:التيسير والاعتبار،تحقيق عبد القادر أحمد طليمات،دار الفكر العربي،القاهرة1967م، ص 92 .
- مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 54 .
(9)ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص 6 ، المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 70 .
- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ 1 ، ص 13 .
(10) المقريزي ك الخطط ، جـ 1 ، ص 70 .
(11) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 42 .
(12) ابن مماتي : قوانين الدواويين ، ص 206 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 70 .

خلجان خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج المنهى [1] .

وسوف نقتصر في دراستنا لهذه الخلجان على الموجود منها بالدلتا:

(1) خليج سردوس :

الذي حفره هامان لفرعون [2] ، وبحر قلبوب هو المعروف بالسردوسي [3] وكان يخرج خليج سردوس من الضفة الشرقية للنهر عند بلدة باسوس (مركز قليوب) [4] قبل أن يتفرع عند شطنوف [5] وكان هذا الخليج أحدى نزهات الدنيا فيحيط به البساتين والأشجار والفواكه [6]

وكان خليج سردوس من أمهات الترع في مصر حيث يفتح في حالة زيادة الما في عيد الصليب (14 توت – سبتمبر) [7] .

---

(1) المسعودي : مروج الذهب ، جـ1 ، ص 344 – 345 ، ابن مما تي : قوانين الدواوين ، ص 205 – 206 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 70 ، المحلي : مبدأ النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 013 – 014
- الخوارزمي : صورة الأرض ، ص 108 – 109 ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ، ص 6 .
- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ1 ، ص 56 . ابن زولاق : فضائل مصر (مخطوط) ورقة
- ابن اياس : بدائع الزهور ، جـ1 ، ص 17 ، سهراب ك عجائب الاقاليم السبعة ، ص 142 .
- النويري : نهاية الأرب ، جـ 1 ، ص 264 .
- ابن سيرابيون : نهر النيل ، ص 191 – 192 .

(2) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص 6 ، والمسعودي ك مروج الذهب ، جـ1 ، ص 345 .
- أبو صالح : كنائس واديرة مصر ، ص 30 ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 210 .
- وابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 300 ، والمقريزي : الخطط : جـ 1 ، ص 70 .
- أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ1 ، ص 56 .
- المحلي : مبدأ النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 6 .

(3) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 206 .

(4) عبد العال الشامي : مصر عند الجغرافيين العرب ، رسالة ماجستير ، أداب القاهرة 1973م ، ص 106 .

(5) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 106 .
- الدمشقي : نخبة الدهر ، ص 231 .

(6) ابن الوردي ك فريدة العجائب ، ص 34 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 300 .

(7) المسعودي : مروج الذهب ، جـ 1 ، ص 343 .

ولقد امتدت يد الاهمال إلى هذا الخليج في عصر القلقشندي ت 821 هـ / 1418 م وعوض عنه ببحر أبي المنجا [1].

ويؤكد عبد العال الشامي من خلال دراسته على أن خليج سردوس كان يجري في مجرى الفرع البلوزي في الجزء الأعلى من مجراه وهو الجزء الذي كان على مايبدو مازال باقايا من مجراه ويبدو واضحا من أهمال تصوير هذا الخليج على الخرائط العربية ، وعدم ذكر تفاصيل كثيرة عنه أنه لم يكن موجودا بصورته الطبيعية ، كأحد بنفس الاسم ، ويجب ملاحظة عدم الخلط بين خليج سردوس كمجرى طبيعي وخليج أو بحر سردوس كترعة شقتها يد البشر مستغلة في ذلك مستغلة في ذلك السير في المجرى الطبيعي القديم[2].

(2) خليج ابي المنجا :

حفر هذا الخليج أبو المنجا في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة 506 هـ / 1112-1113م في وزارة الأفضل بن أمير الجيوش وزير المستعلى بالله الفاطم ي، فكان أبو المنجا مشارف الأعمال الشرقية وطلب منه الأهالي حفر خليج ليمد أراضيهم بحاجتها من المياه لأنها لا تصلهم في أكثر السنين إلا من السردوسي والصماصم والأماكن البعيدة ، وعرض أبو المنجا الأمر على الأفضل فوافق وحبذ فكرة هذا المشروع فخرج من القاهرة ومعه الشيوخ وركبوا في المراكب ومعهم حزم البوص فسيروها في البحر وبتعوها في المراكب إلى أن رماها الموج إلى الموضع الذي حفر فيه ، ويؤكد المؤرخون العرب بأن حفر هذا الخليج استغرق العمل فيه سنتين ، بينما يذكر ابن دقماق أن الحفر استغرق ست سنوات ومن الواضح أن الأمر اختلط على ابن دقماق بين كلمة سنة وستة.

وكانت كلما تتضع الفائدة منه وما يترتب علهي من تضاعف وارتفاع خصوبة ما يهون عليه الغرامة وعندما عرض على الأفضل جملة ما انفق فيه استعظمه وقال " غرمنا هذا المال جميعه والاسم لابي المنجا فغير اسمه واطلق عليه البحر الأفضلي ، فلم يتم ذلك ولم يعرف إلا بابي المنجا " .

وفي خلافة الأمر باحكام الله كان يحتفل بيوم فتح هذا الخليج حتى نهاية العصر الفاطمي[3].

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 300 .
(2) مصر عند الجغرافيين العرب ، ص 107 .
(3) ابن المأمون : أخبار مصر، ص 11 – 12 .
- ابن دقماق ك الأمصار ، ص 46 ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 302 .
- المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ 3 ، ص 50 .
- المقريزي ك الخطط ، جـ 1 ، ص 487 .
- علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ 9 ، ص 71 .

وجرت العادة بأن يسد ويفتح في الثالث والعشرين من توت ويقطع عند الصليب [1] ويذكر ابن دقماق [2] بأنه يسد ولا يفتح إلا في الثاني والعشرين من توت وأما القلقشندي [3] فيقول " وكان سده يقطع في عيد الصليب في سابع عشر توت ثم تغير وكان يقطع يوم النيروز في أول يوم من توت حرصا على ري البلاد " .

(3) خليج سخا :

حفر هذا الخليج أحد ملوك مصر القدماء [4] ويمثل هذا الخليج فرع الترمتياك The Rmutiaque وكان موجودا في العصر الإسلامي أو على الأقل الجزء الجنوبي منه [5] ويقول أبن مماتي [6] " جسر سخا يكسر في ثامن بابه ومادته من بسوط وبرطاس ويسقى الدمنجرجية والسخاوية " ويبدو أن هذا الخليج يسهل عملية الري حيث يدخله ماء النيل عندما يبلغ منسوبها تسعة أذرع [7] .

(4) خليج أمير المؤمنين :

يعتبر خليج أمير المؤمنين من أهم خلجان الدلتا القديمة ، لربطه النيل بالبحر الأحمر وبدايته من المنطقة الممتدة بين القاهرة والمقس وأعاد حفره عمرو بن العاص عندما فتح مصر [8] بناء على طلب الخليفة عمر بن الخطاب [9] " احفر من النيل إليه ولو انفقت عليه مال مصر " [10] .

ومن الثابت أن إصرار الخليفة عمر بن الخطاب على حفر الخليج . عندما تفاقمت الأزمة الاقتصادية الطاحنة ببلاد الحجاز في عام الرمادة سنة 23هـ/643 – 644 م واستغرق الحفر ستة شهور وكان مساره إلى بحر القلزم وأبحرت فيه السفن تحمل المؤن لبلاد الحجاز [11] .

---

(1) ابن مماتي ك قوانين الدواوين ، ص 206 .
(2) الانتصار ، ص 47 .
(3) صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 302 .
(4) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص 6 ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 301 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 70 .
(5) عمر طوسون : تاريخ خليج الاسكندرية وترعة المحمودية ، ص 11 .
- محمد محمود علي : النيل ومصر ، دار الهداية ، القاهرة ، ص 54 .
(6) قوانين الدواوين ، ص 219 .
(7) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 60 ، وابو المحاسن : النجوم الزاهر ، جـ 1 ، ص 56 .
(8) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص 164 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 71 .
(9) أبو صالح : كنائس واديرة مصر ، ص 74 ، وابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 206 .
- القلقشندي ك صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 298 ، والمقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 71 .
- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ 1 ، ص 271 .
(10) ابن زولاق : فضائل مصر (مخطوط) ورقة 20 .
(11) ابن دقماق : الانتصار ، ص 120 ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 298 .

ويذكر ابن عبد الحكم أن أحد الأقباط هو الذي أشار إلى عمرو بن العاص على مكان الخليج في مقابل رفع الجزية عنه [1] .

ولسوء الحظ وجهل الولاة بالمصلحة العامة للبلاد أغفلوه أهمية الإشراف على شئونه من تطهيره وصيانة جسوره فغلبت عليه الرمال كما أصدر أبو جعفر المنصور أوامره بسد الخليج عندما خرج عليه محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ليمنع الامدادات عنه[2] .

واطلق عليه الخليج الحاكمي في العصر الفاطمي [3] كما عرف بخليج القاهرة ويكسر سده يوم وفاء النيل .

وكان محط اهتمام الفاطميين فشرع جوهر الصقلي باصلاحه وتعميره ففي سنة 360 هـ م 970 – 971 م وشيد عليه القنطرة التي تقع خارج باب القنطرة ، كما بنى الخليفة الظاهر 411 – 427 هـ / 2020- 1035 م قنطرة اللؤلؤة بالقرب من ميدان القمح ، وكانت مستنزها لخلفاء الفاطميين ينزلون فيها وقت زيادة النيل [4] .

(5) خليج الاسكندرية :

عندما شرع الاسكندر في تأسيس ميدنة الاسكندرية عام 331 ق.م ، اهتم بحفر خليج الاسكندرية ليمدها بحاجتها من المياه اللازمة من فرع النيل الكانوبي [5] ولكن ابن الحكم [6] ينسب غلى كليوباترا انشاء هذا الخليج وكانت فوهته عند قرية الظاهرية مارا بدمنهور ثم نقلت إلى قرية العطف المواجهة لفوه وينحني غربا ليتصل بجدران الاسكندرية [7] وهو من احسن المتنزهات فتحيط به البساتين [8] الزاهرة والقصور العامرة [9] .

وساعد خليج الاسكندرية على ري أراضي البحيرة وحوف رمسيس فانتعشت زراعة القصب والقلقاس والنيلة وكافة المحاصيل الصيفية [10] واهتم ولاة مصر بصيانة هذا الخليج

---

(1) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص 166

(2) ابن دقماق : الانتصار ، ص 120 ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 298 .

(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 298 ، والمقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 71 .
- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ 1 ، ص 271 .

(4) أبو صالح : كنائس واديرة مصر ، ص 32 ، والقلقشندي : المصدر السابق ، ص 298 – 299 .
- ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ 4 ، ص 99 .

(5) عمر طوسون : خليج الاسكندرية ، ص 9 .

(6) فتوح مصر ، ص 41 .

(7) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 300 .

(8) أبو الفداء : البلدان ، ص 105 .

(9) الدمشقي : نخبة الدهر ، ص 231 .

(10) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 221 – 222 ، والمقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 71 .

فتم على يد الحارث بن مسكين قاضي مصر من قبل الواثق بالله 239هـ / 853 – 854 م وعلى يد طولون 259هـ/872 – 873 م [1] وكذلك حرص الخليفة الحاكم بامر الله على إعادة حفره " وانفق عليه ما يناهز خمسة عشر ألف دينار سنة 404 هـ " [2].

وكان جريان المياه فيه يستمر ثمانية شهور [3] مما سهل عملية الملاحة بالسفن بين القاهرة والاسكندرية [4]، وكافة السواحل المصرية وساعد على نقل الغلال إلى مختلف الجهات [5].

(5) نظام الري :

أ- ري الحياض :

وهو تقسيم الأرض الزراعية إلى أحواض فإذا ورد ماء الفيضان يغمر هذه الأرض ويبقى فوق سطحها مدة كافية " فيقيم الماء من عند ابتداء الحر إلى الخريف ثم ينصرف فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك " [6] وكانت زرعهم على ماء النيل تمتد فتعم المزارع من حد أسوان إلى حد الاسكندرية وسائر الريف فيقيم الماء من عند ابتداء الحر إلى الخريف ثم ينصرف فيزرع ثم لا يسقى بعد ذلك [7].

ولما كانت أرض الدلتا تسقى من يسير الزيادة احتاجت إلى عمل الجسور للتحكم في المياه وفتحها على قدر حاجتهم [8] لذلك ارتبط تحصيل الخراج من الأهالي عند تمام الماء وافتراشه على سائر أرضها [9].

ب- الري الدائم :

يسود نظام الري الدائم بالدلتا في الأرض القريبة من النهر والتي لا تحتاج إلى الآلات لرفع المياه إلى منسوب الأرض التي تزرع طور العام لقربها من النيل أو الخلجان أوالترع التي تستمد ماءها من النيل .

---

(1) الكندي : الولاة والقضاء ، ص 466 ، والمقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 171 .
- ابراهيم حسن سعيد ك البحرية في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف ، القاهرة 1983م ص 62 .
(2) المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 171 .
(3) النابلسي : لمع القوانين ، ص 55 .
(4) العمري : مسالك الإبصار ، ص 89 .
(5) ابن سعيد : بسط الأرض ، ص 81 .
(6) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 324 .
(7) الاصطخري : المسالك والممالك ، ص 40 .
(8) المقريزي : الخطط ن جـ 1 ، ص 56 .
(9) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 129 .

ومياه الراحة تستخدم في ري المحاصيل التي لا تضار من وفرة الماء مثل القصب والارز والطريقة المتبعة في ذلك يشرحها المقريزي [1] بقوله " إن يقطع عليه من جانب جسر يكون قد أدير عليه يقيه من الغرق عند ارتفاع النيل بالزيادة فيدخل الماء من ثلمة في ذلك الجسر حتى يعلو على أرض القصب نحو شبر ثم يسد عند الماء حتى لا يصل إليه ويترك الماء فوق الأرض قدر ساعتين أو ثلاث إلى ان يسجن ثم يصرف من جانب آخر حتى ينصب كله ويحدد عليه ماء آخر " وغالب ساكن الدقهلية والمرتاحية يزرعون القصب والقلقاس [2] والارز على الماء السايح لارتفاع البحر عن الأرض وفي الدقهلية والمرتاحية ترفع السواقي في أيام من مسري عند بلوغ النيل اربعة عشر ذراعا لكونها ارضا واطية[3] .

وكان أهالي دمياط يستقون من ماء النيل بالدلاء وكثير من دورها تحتوي " على دركات " النزول منها للنيل " [4] .

جـ - الري بالالات :

استخدمت طريقة الري الصناعي عندما يكون منسوب المياه منخفضا عن الأرض واستعملت هذه الطريقة في أرض الدلتا " وعلى النيل دواليب كثيرة تسقى البساتين وقت نقصانه " [5] وعن الالات المستعلمة في رفع الماء إلى المستوى المطلوب يقول ابن المماتي [6] " الساقية والقادوس والهمالية ومقدار فائض الهمالية بعيدة فسبعة افدنة إلى مادونها . ويكون لكل همالية سائق واحد وتجرها الابقار القوية " .

وفي الدقهلية والمرتاحية ترفع السواقي في أيام من مسرى عند بلوغ النيل أربعة عشر ذراعا وما حولها لانخفاض أرضها ، وأما باقي البلاد فإن السواقي ترفع في أول توت أو أيام منه " وتحتاج كل خمسة وعشرين راسا من البقر رجل واحد " [7] .

ثانياً : الجسور :

كما اهتم الفاطميون باقامة الجسور ، اقاموا جسراً من التراب من أول الديار المصرية إلى آخرها ليسير عليه الناس ، وقد اعتمدت الدولة للجسر عشرة ألاف دينار سنويا لصيانته وتجديد عمارته ، كما اقيمت عدة جسور لتسهيل عملية الري [8] .

---

(1) الخطط : جـ1 ، ص 102 .
(2) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 34 .
(3) المخزومي : المنهاج ، ص 4 .
(4) ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ، جـ 1 ، ص 23 .
(5) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 208 .
(6) ابن المماتي : مصدر سابق ، ص 275 – 276 .
(7) المخزومي : المنهاج ، ص 4 – 5 .
(8) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 43 .

وانتشرت الجسور بكثرة في الدلتا لانخفاض أرضها ، واللتحكم في مياه النيل " ليروي أهل النواحي على قدر حاجتهم " [1] وتنقسم الجسور إلى قسمين الجسور السلطانية والجسور البلدية .

أ- الجسور السلطانية :

" وهي الجسور العامة النفع في حفظ النيل على جميع انحاء البلاد ، ويتولى الإشراف عليها أمراء الولايات فينفقون عليها مما يحصلون عليه من مال الخراج ، وما تبقى منه يرسلونه إلى خزانة بيت المال ، وللجسور رسوم موظفة على الأعمال الشرقية والغربية تستخرج بأيدي مستخدمي الديوان ينفق عليها منها ما ينفق وما تبقى يحمل إلى بيت المال، والجسور السلطانية إذا جارية مجرى سور المدينة الذي يجب على السلطان الاهتمام بعمارته والنظر في مصلحته وكفاية العامة أمر الفكرة فيه " [2] .

وتهتم الدولة بالإشراف على الجسور السلطانية وكانت لها رسوم مقررة على البلاد في شكل جراريف ومحاريث وأبقار مرتبة [3] .

وكان هناك مشرف عام لمتابعة الجسور يسمى كاشف الجسور [4] ، ولاهمية الجسور لتنظيم عملية الري فكان يوجد على كور مصر مائة الف وعشرين الف رجل معهم المساحي والآلات سبعون الفا للصعيد وخمسون الف لأسفل الأرض مهمتهم حفر الخليج وإقامة القناطر وسد الترع [5] .

ب- الجسور البلدية :

وكان أهل القرى والنواحي يتلزمون ببنائها وصيانتها [6] ، وكانت مسئولية انشائها تقع على عاتق المقطعين من الأمراء والاجناد وغيرهم من الفلاحين من الأموال المفروضة في اقطاعاتهم [7] .

" والجسور البلدية جارية مجرى الأدر والمساكن التي داخل السور مهمة كل صاحب دار منها النظر في مصلحتها ويلتزم بتدبير امره فيها[8] وعندما ينفق الديوان المقطع من أمواله على إقامة جسر ، فإنه يستعيد تلك الأموال من المقطع الثاني " [9] .

---

(1) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 56 .
(2) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 232 ، والمقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 101 .
(3) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 444 .
(4) القلقشندي : المصدر السابق ، جـ3 ، ص 444 .
(5) الكندي : فضائل مصر ، ص 59 – 60 .
- المحلي : مبدأ النيل على التحرير ، (مخطوط) ورقة 6 ، وابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ 1، ص 47.
- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ 1 ، ص 86 ، والأسدي : التسير والاعتبار ، ص 92 .
(6) ابن مماتي : وقانين الدواوين ، ص 232 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(7)القلقشندي : صبح الأعشى جـ3 ، ص 445 ، والمقريزي : المصدر السابق والصفحة .
(8) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 233 ، والمقريزي : المصدر السابق والصفحة .
(9) ابن مماتي : المصدر السابق والصفحة .

وحرص الفاطميون على الاهتمام بالري فعندما سمع الخليفة الحاكم بأمر الله أن العالم الرياضي ابو علي محمد بن الحسن بن الهيثم البصري (ت 430هـ / 1038 م) الذي قال ط لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملا يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة أو نقص فقد بلغني انه ينحدر من موضع عال هو في طرف الاقليم المصري " [1] .

وأرسل معه الحاكم بامر الله جماعة من الصناع .. غير أن امكانيات البلاد المالية انذاك لم تسعفهم في تنفيذ تلك الخطة .

ثالثاً : الأرض الزراعية :

تنوعت الأراضي في الدلتا ، لتنوع التربة ، وكانت أرضها ضعيفة الطين لأن الماء يأتيها وصفا [2] ، وكانت أرض حوض رمسيس تتميز بخصوبة أرضها [3]،وكانت عدة أنواع .

(1) الباق :

وهي أخصب أنواع الأراضي في الاقليم ، وهي أرض (القرط) و (القطاني) [4] وتصلح لزراعة القمح والكتان [5] لأن هذه النباتات تختزن المواد الازوتية في جذورها فعند ترك الجذور في الأرض تصبح سمادا يغذي التربة ويقوبها [6] ، أما المقاني فإن أثرها يسمى البرش [7] ، وهي اغلاها قيمه [8] ، وكان يؤجر الفدان منها بأربعين درهما في سنة 790 هـ/ 1388م [9] .

(2) الشراقي :

وهي الأرض التي لم يصلها الماء ، أما القصور النيل وعلوها وأما لوجود حاجز يؤدي إلى سد الماء عن طريقها [10] ، والشراقي تتبع (الباق) في الجودة وتتبعها في

---

(1) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص 316 – 318 .
(2) عبد اللطيف البغدادي : الإفادة ، ص 17 .
(3) النابلسي : لمع القوانين ، ص 58 .
(4) المخزومي : المنهاج ، ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 201 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 100 ، ومجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) دار الكتب المصرية رقم 85 ، زراعة ، ورقة 12 .
(5) المخزومي : المنهاج ، ص 2 ، وابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 201 .
(6) حسن إبراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص 575 .
(7) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 446 .
(8)ابن مماتي : قوانين الدواوين ن ص 201 ، ومجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 12 .
(9) سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1976م ، ص 284
- محمد محمود علي أبو زيد ك الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الريف المصري ، رسالة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية البنات ، جامعة عين شمس 1985م ، ص 132 .
(10) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 201 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 100 .

القطيعة ، وهي تأتي بمحصول جيد [1] ، وفي هذه الحالة يجب أن تروي بالآلات ، مما يؤدي إلى جودة المحصول [2] .

(3) البروبيه :

وهي الأرض التي زرعت قمحا أو شعيرا ، وهي دون الباق لأن الأرض تضعف بزراعة هذين المحصولين ، ويجب أن تزرع قرطا ومقاتيا لتعطي الأرض فترة راحة تصير باقا في السنة القادمة [3] وكان الفدان منها يؤجر بثلاثين درهما [4] ، ويذهب الدكتور أدريس إلى أن أهل الدلتا يسمون عيدان القمح اليابسة المتبقية برايب ويطلق عليها الفلاحون الأن أرض الحصيد [5] .

(4) البقماهة :

وهي أرض الكتاب إذ زرع فيها القمح ولا يأتي بمحصول يجني رقيق الحب أسود [6] ، ولا يزرع إلا عندما تشتد إليها الحاجة [7] .

(5) الأرض الشتوية :

وهي الأرض التي لم تأخذ القدر الكافي من الماء في العام الأسبق ، ويرجع ذلك إلى ندرة الماء ، وهي كأرض الباق [8] ، وقطيعتها دون قطيعة الشراقي [9] ، وتأتي بمحصول جيد ويطلق عليها اسم الشتائي [10] .

(6) السلايح :

وهي عبارة عن الأرض التي رويت ثم بارت وتركت وتعطلت ، وتعتبر من الأرض الخصبة وهي تكون جيدة الزرع وهذا نوع من الأرض مثل الباق وري الشراقي [11] .

---

(1) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 201 ، والقلقشندي : صبح الأعشى جـ3 ، ص 446 .
(2) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 202 .
(3) المخزومي : المنهاج ، ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 202 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 446 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 100 .
(4) محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة 1947م ، ص 293 .
(5) محمد محمود ادريس : الحضارة الإسلامية ، ص 114 .
(6) المخزومي : المنهاج ، ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 202 .
- القلقشيندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 447 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 447 .
(7) المخزومي : المنهاج ، ص 2 .
(8) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 447 .
(9) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 202 .
(10) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 447 .
(11) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 202 ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3، ص 447 ، والمقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 100 .

(7) النقاء :

وهي الأرض التي أجريت عليها عملية تنظيف من أثر الزراعة السابقة [1] ، والنقاء هو الطين الغالب عليه السواد الذي يصلح للزارعة وينبت فيه إذا لم يزرع الكلا الصالح للرعي ، ويسمى نباته بالصعيد الكتيج وهو نبات تحتاج إليه والدواب والماشية بدلا من البرسيم [2] وهذا النوع من الأرض يتميز بأنه يقبل كل أصناف المزروعات [3] .

(8) الوسخ المزروع :

وهي الأرض التي استحكم وسخها ، ولم يكن بوسع المزارعين ازالته بل حرثوها وزرعوها فجاء زرعها مختلطا بالحلفاء [4] .

(9) الوسخ الغالب :

وهي الأرض التي تنبت فيها الحشائش التي تعرقل زراعة المحاصيل وتكون هذه الحشائش عقبة في نمو النباتات الجديدة ولا يكون بوسع الفلاح التغلب على هذه الحشائش نظرا لكثرتها والمجهود الذي يقوم به في سبيل ازالة هذه الحشائش فلا يتمكن من التخلص منها ، فيضطر إلى بيعها مراعي للأغنام [5] .

(10) الخرس :

يقل فيها نمو المحاصيل الزراعية سنة بعد الأخرى [6] ، وهذا النوع من الأرض فاسد لا يصلح للزراعة لنمو الحلفاء فيه بدرجة كبيرة ، وتحتاج إلى مجهود كبير للتخلص من الحلفاء فيضطر الفلاح إلى بيعها كمراعي للدواب [7] .

(11) المستبحر ك

هي الأرض التي ينخفض منسوبها جدا ، ويطلق عليها أرضا " واطية " وتتراكم فيها المياه عند ريها بصورة كبيرة فلا تجد مخرجا لتصريف المياه الزائدة [8] وهي أرض

---

(1) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 202 ، والقلقشندي : صبح الأعشى ، ص 447 .
(2) النويري : نهاية الأرب ، جـ8 ، ص 247 .
(3) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 202 ، والقلقشندي : المصدر السابق ، ص 447 .
(4) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 203 ، والقلقشندي : المصدر السابق ، ص 447 . - والمقريزي : المصدر السابق ، ص 100 .
(5) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 203 ، النويري : نهاية الأرب ، جـ8 ، ص 248.
- القلقشندي : المصدر السابق ، ص 447 ، والمقريزي : المصدر السابق ، ص 100 .
(6) النويري : نهاية الأرب، جـ8 ، ص 248 .
(7) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 203 ، والقلقشندي : المصدر السابق ، ص 447 ، المقريزي : المصدر السابق ، ص 100 .
(8) ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 204 ، والقلقشندي : مصدر سابق ، ص 448.
- المقريزي : مصدر سابق ، ص 100 .

الخلجان وتستمر فيها المياه فترة طويلة مما يؤدي إلى تلف المحصول [1] وفوات موعد زراعته ، مما يؤدي إلى خسارة كبيرة في المحصول وللاستفادة من هذه الأرض يستخدم الفلاح السواقي .

(12) السباخ :

هي الأرض التي ترتفع فيها نسبة الملوحة ولا يتمكن الفلاح من زراعة الحبوب فيها وهي أقل أنواع الأراضي جودة ويزرع فيها الهيلون والباذنجان والقصب الفارسي [2] ، كما يضطر الفلاح إلى قطع بعض أجزاء هذه الأرض لتسبيخ الكتان [3] .

وهناك تقسيم آخر عند ابن بصال [4] فهو يقسمها إلى عشرة أنواع " الينصة والغليظة والرملة والسوداء والبيضاء والصفراء والحمراء والحرشاء المضرسة والأراضي المائلة إلى الحمرة " وهذا التقسيم يتطابق مع وصف الأراضي المصرية سالفة الذكر .

رابعاً : ملكية الأرض :

تعهد الفاطميون باحترام مبدأ الملكية الخاصة ، وعدم انتزاع الأراضي من أيدي أصحابها ، فقد أعطى جوهر الصقلي للمصريين أمانا جاء فيه " على أمانكم في أنفسكم واموالكن وبلادكم وجميع احوالكم لكن على أمان الله التام العام الدائم المتصل الشامل الكامل المتجدد المتأكد على الأيام وكرور الأعوام في انفسكم واحوالكم واهليكم ونعمكم ورباعكم وقليلكم وكثيركم " [5] .

ومما يسترعي الانتباه من دراسة أوراق البردي العربية كثرة المستندات التي تؤيد ملكية الأفراد والمراسلات بين المالك والمستأجر بالصعيد ، وللأسف لم نعثر على مستند واحد من خلال دراستنا لؤيد ملكية الأفراد بالدلتا [6] ، ونرجح بأن نظام الملكية المتبع بالصعيد ، هو الذي كان سائدا في الدلتا .

أما عن نظام المزارعة فكان المزارع يأخذ الأرض من مالكها على أن يتولى زراعتها والانفاق عليها وعمارتها في مقابل أن يحصل على نسبة معينة من ناتج الأرض فهي الشركة في الزرع .

---

(1) النويري : مصدر سابق ، ص 248 .
(2) ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 204 ، القلقشندي : مصدر سابق ، ص 448 .
- المقريزي : مصدر سابق ، ص 101 .
(3) مجهول : مفتاح الراحو (مخطوط) ورقة 13 .
(4) ابن بصال : كتاب الفلاحة ، نشر حوس ماريه مياس ميكريا (تطوان 1955م) ص 41 – 48 .
(5) المقريزي : اتعاظ الحنفا ، جـ1 ، ص 106 .
(6) لمزيد من التفاصيل انظر جروهما : أوراق البرد ي، الجزء الثالث .

وسنعرض أراء الفقهاء في مثل هذا النظام فالزراعة عند الحنفية " عقد بين مالك أرض وعامل يستأجرها الأخير ليزرعها بالنصف أو الثلث وهي عندهم لا يجوز " [1] .

أما المالكية فيرون أنها شركة في العقد وتقع باطلة ، إذا كانت الأرض من طرف أحد الشريكين ، وهو المالك والبذر والعمل والالات من الشريك الثاني [2] .

أما أحمد بن حنبل فيقول بجواز المزرعة بالصورة التي يقرها أبو حنيفة إلا أنهم يخصون المالك بدفع الحب [3] ، وقال الامام الشافعي " الزراعة هي تأجير الأرض بما يخرج منها أو تأجير العامل بما يخرج من الأرض فاسدة فإذا عمل المزارع في أرض بناء على ذلك العقد الفاسد فإن الخارج من غلتها يكون لمالكها وعليه أجر العامل وقيمة ما أنفقه على الأرض [4]

اما أبو يوسف فيروي " أن ذلك كله جائز مستقيم صحيح وهو عندي بمنزلة مال المضاربة قد يدفع الرجل إلى الرجل المال مضاربة بالنصف والثلث فيجوز وهذا مجهول لا يعلم ما مبلغ ربحه ليس فيه اختلاف بين العلماء فهي عند بمنزلة المضاربة [5] .

ويقول الدكتور راشد البراوي أن الفلاح في العصر الفاطمي ، كان يحظى بمعاملة تنطوي على التسامح والرعاية ، فلم يترك الفاطميون تقدير الضرائب للمتقبلين والقطعين بل حدودها [6] .

وقد امتدح الكتاب الاوربيون فلاحي الاقليم من غيرهم من فلاحي مصر لانهم لم يقبلوا على الاطلاق أن يكونوا أقنانا للأرض [7] .

خامساً : الدورة الزراعية :

تنقسم الدورة الزراعية[8] في الدلتا إلى قسمين المحاصيل الصيفية والمحاصيل الشتوية .

---

(1) الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة ، جـ3 ن ص 12 .
(2) نفسه ، ص 5 .
(3) نفسه ، ص 12 .
(4) نفسه ، ص 16 .
(5) ابو يوسف : الخراج ، ص 17 .
(6) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص 105 .
(7) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر ، جـ 5 ، ص 98 .
(8) توراث المصريون نظام الشهور القبطية والرومية في حياتهم الزراعية ، ومازال هذا النظام سائدا حتى الوقت الحاضر وسوف نشير إلى تلك الشهور .
- الشهور القبطية : توت – بابه – هتور – كيهك – طوبة – امشير – برمهات – برمودة – بشنس – بؤونه – ابيب – مسرى . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 234 حاشية (7 – 8) .
- الشهور الرومية : ايلول – تشرين الأول – تشرين الثاني – كانون الأول – كانون الثاني – شباط – أذار – نيسان – ايار – حزيران – تموز – آب .
- الشهور العربية : المحرم – صفر – ربيع الأول – ربيع الآخر – جمادى الأول – جمادى الآخر – رجب – شعبان – رمضان – شوال – ذو القعدة – ذو الحجة . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 234 .

(أ) المحاصيل الصيفية :

كان قصب السكر من اشهر المحاصيل الصيفية التي انتشرت زراعتها في الدلتا فيزرع في نصف برمهات على اثر البرش ، وتبرش أرضه سبك سكك [1] ، وفي أول طوبة تشق الأرض للقصب [2] ثم يعزق ثلاث مرات قبل نهاية شهر بشنس .

ويحتاج القصب إلى أرض جيدة ومياه متوافرة للري ثم تنظف الأرض من الحلفا وتحول الأرض إلى أحواض ثم يلقى فيها القصب قطعتين قطعتين قطعة مثناة وقطعة مفردة ويبلغ طول كل قطعة حوالي ثلاثة انابيب ويسقى القصب في أول الربيع مرة في الأسبوع وعند ظهور نبات القصب تظهر معه الحشائش ثم تنظف من الحشائش ويحتاج القصب إلى القطران حتى لا يسوس [3] ومقدار ما تسقى الهمالية (الساقية) عشرة افدنة أو اكثر إذا كانت مجاورة لمصدر المياه وفي الدقهلية والمرتاحية ترفع السواقي في أيام من مسرى عند بلوغ النيل أربعة عشر ذراعا [4] . ومقدار ما يتحصل من القصب يتراوح ما بين أربعين ابلوجة [5] .

إلى ثمانية ابلوجات وما يعادلها من عشرين إلى خمسين إلى مائة دينار من قند وعسل[6].

ومن مدن الدلتا التي اشتهرت بزراعة قصب السكر دمياط فيقول ابن ظهيرة [7] " ولقد اخبرني من اثق به من اهلها أن الفدان منها من قصب يخرج منه من السكر اربعون قنطار بالقوى وهو مئة قنطار بالمصري " وكان يزرع في الدقهلية والمرتاجية [8] ، وفي منية القائد [9] وقرية الشاميين [10] وسنهور [11] والصافية [12] .

---

(1) المخزومي : المنهاج ، ص 4 ، ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 226 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 102 .
(2) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ2 ، ص 357 .
(3) المخزومي : المنهاج ، ص 4 ، والنويري : نهاية الأرب ، جـ 8 ، ص 264 – 265 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 102 .
(4) المخزومي : المنهاج ، ص 4 .
(5) الابلوجة تعادل تسع قنطارا . المقريزي ، جـ1 ، ص 73 .
(6) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 267 .
(7) الفضائل الباهرة ، ص 54 .
(8) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 34 .
(9) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 329 .
(10) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 331 .
(11) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 .
(12) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 134 . الصافية من أعمال المنوفية (ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 89) وهي ضيعة كبيرة بها جامع وأسواق (ابن حوقل: مصدر سابق ، ص 134) وفي العصر العثماني عرفت المنوفية باسم منية الحميد وصارتا ناحية واحدة باسم الصافية ومنية الحميد وفي سنة 1228هـ فصلت منية الحميد من الصافية.
محمد رمزي : القاموس ، جـ2 ، القسم الثاني ، ص 45 .

ولقصب مصر منافع طيبة يذكرها القزويني [1] " ينفع من السعال ووجع الصدر ويدر البول ويجلوا الصدر من الرطوبات " .

وقد توسع المصريون في زراعة قصب السكر كثيرا في العصر الفاطمي ويرجع ذلك لشدة الطلب على السكر والحلوى بسبب سياسة الحكومة الفاطمية في الحفلات الكثيرة وبسبب الحياة الاجتماعية المترفة التي سادت هذا العصر [2] .

ب- النخيل :

انتشرت مزارع النخيل بالاقليم ، فكان يزرع من أول يناير إلى أول حزيران [3] ويحفر للنخيل في الأرض قدر ذراعين وتملأ بالتراب ، وتوضع النواة في وسط الحفرة ثم ينهال عليها التراب ، ويسقى كل يوم حتى ينمو ثم ينقل إلى مكان آخر [4] ، وأرض الدلتا صالحة لزراعة النخيل ((تودع النواة في الأرض فتنبت نخلة ، ويؤكل من ثمرها بعد سنتين " [5] وفي أول شهر أمشير يبتدي ظهور افراخ النخيل ثم يظهر البلح في أول بؤونه ،ويطيب البلح في أول شهر أمشير [6] وانتشرت زراعة النخيل بوفرة في الفرما ونال اعجاب الجغرافيين [7] والمؤرخين العرب واعتبروه من عجائب الدنيا " ومن عجائب الدنيا نخيل الفرما ، فإنها تثمر حين ينقطع البسر والرطب من جميع البلاد فيكون رطب نخل الفرما بكانون الأول حين تلد النخل في كل مكان فلا ينقطع أربعة أشهر ولا يوجد هذا في بلد من البلاد سوى الفرما ، وهو تمر كبير يوجد في وزن التمرة 20 درهما وطولها فتر " .

وانتشر مزارع النخيل في بلبيس [8] وفوه [9] والواردة [10] والعباسة [11] والجفار [12]

---

(1) عجائب المخلوقات وغرائب المجودات ، ص 198 .
(2) راشد البراوي ك حالة مصر الاقتصادية ، ص 69 – 70 .
(3) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 65 .
(4) ابن العوام : كتاب الفلاحة (مدريد 1802م) ص 344 .
(5) المسعودي ك مروج الذهب ، جـ 1 ، ص 247 .
- مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 65 .
(6) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 376 – 378 .
(7) الكندي : فضائل مصر ، ص 53 ، والمخزومي : املنهاج ، ص 6 .
- المراكشي : الاستبصار ، ص 89 ، وابن دقماق : الانتصار ، ص 53 .
- المقريزي : الخطط ن جـ 1 ، ص 212 ، والحميري : الروض المعطار ، ص 439 .
- مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 23 .
- نعوم شعير : تاريخ سيناء ، مطبعة المعارف بمصر ، القاهرة 1906م ، ص 184 .
(8) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص 119 ، وابن دقماق : الانتصار ، ص 56 .
(9) ياقوت : معجم البلدان ، جـ2 ، ص 280 ، والبغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ3 ، ص 1047 .
(10) ابو الفداء : البلدان ، ص 108 ، ابن دقماق : الانتصار ، ص 58 .
(11) ياقوت : معجم البلدان ، جـ4 ، ص 75 .
(12) القزويني : اثار البلاد ، ص 179 ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ 1 ، ص 337 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 52 ، الحميري : الروض المعطار ، ص 178 .

ورشيد [1] والبرلس ونسترو [2] وبحيرة الاسكندرية[3] وقطيا [4] .

كما انتشرت زراعة الكروم بالدلتا ، حيث يحفر لها في الأرض حوالي ثلاثة اقدام [5] ويغرس قضبان الكروم ثم يغمر براس القضيب بمخلفات الأربقار [6] ، ويزرع في شهر أمشير [7] ، ويقلم في برمهات[8]،ويطيب العنب في بؤونة[9] ومن أشهر مناطق زراعة الكروم قرية الجريش الواقعة على ضفة النيل الشرقية [10] ، ودنشال [11] قرطسا [12] والكريون [13] وبلدة نقاتة من أعمال البحيرة [14] وتشتهر تروجة [15] بجودة أعنابها يقول ابن سعيد [16] " تشتهر تروجة بالعنب التروجي في غاية الطيب وحسن المنظر " .

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 132 ، الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 343 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 163 .
(2) ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ، جـ1 ، ص 22 .
(3) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 169 .
(4) ابو الفداء : تقويم البلدان ، ص 108 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 52 ، مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 23 .
- نعو شقر : تاريخ سيناء ، ص 474 .
(5) ابن العوام : الفلاحة ، ص 50 .
(6) ابن الوردي : فريدة العجائب ، ص 185 .
(7) المخزومي : المنهاج ، ص 6 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 245 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 376 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 103 .
(8) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 272 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 103 .
(9) القلشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 377 .
(10) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 341 .
(11) دنشال من أعمال حوف رمسيس . ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 136 .
وهي بلد عامر فيه جامع وحمام وبرسمه ضياع جليلة .
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 132 .
(12) قرطسا من أعمال البحيرة . ابن مماتي : مصدر سابق ن ص 178 .
وهي بلد كبير فيه حمام ومنبر وفواكه غزيزة .
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 132 .
(13) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 132 – 133 ، الكريون مدينة كبيرة وهي جانبان على خليج الاسكندرية ومراسي للتجار في الصيف عند زيادة النيل إلى مصر ز ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 133 .
(14) الوطواط ك مناهج الفكر ، ص 133 .
(15) تروجة من أعمال البحيرة ، ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 120 .
(16) بسط الأرض ، ص 82 .

د- النيلة :

والنيلة من المحاصيل الزراعية التي انتشرت على خليج الاسكندرية[1] وكانت تستخدم في صباغة الملابس باللون الازرق [2] ، وتزرع في شهر بشنس وبؤونه ويحتاج الفدان إلى ربع أو نصف ويبة إلى ويبة للفدان الواحد [3] .

وتحصد النيلة بعد مائة يوم من زراعتها ، وتبقى في الأرض الجيدة ثلاث سنوات ، وتسقى في كل عشرة أيام مرة واحدة وتحصد في أول سنة مرتين وفي السنة الثانية ثلاث مرات ، وفي السنة الرابعة أربع مرات وبلغت ضريبة الفدان حوالي ثلاثة دنانير [4] ، وكان هذا المحصول لا يقدر على زراعته إلا أغنياء الفلاحين [5] .

هـ- القلقاس :

وكان القلقاس من المحاصيل الزراعية في الدقهلية والمرتاحية [6] ، فتشق الأرض في أول طوبة [7] ويزرع في نصف برمهات ، ويجنى في هاتور [8] وطريقة زراعته شتلا وحبا والمزروع منه في السنة المتقدمة إذ تأخر عزقة في الأرض كان ادراكه في برمودة [9] ، ومقدار زريعته عشر قناطير بالجروي للفدان [10] .

واهتم المصريون بزراعة القلقاس نظرا لكثرة احتياجهم لطبخه [11] وبلغت الضريبة على الفدان من خمسة دنانير إلى أربعين ديناراً [12] .

---

(1) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 82 .
(2) سيدة كاشف : مصر في عصر الاخشيديين ، القاهرة 1950م ، ص 277 .
(3) ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 268 .
(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ن ص 254 .
(5) سلام شافعي محمود : اهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول ، رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب ، جامعة القاهرة 1976م ، ص 87 .
(6) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 34 .
(7) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 244 ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 375 .
(8) المخزومي : المنهاج ن ص 5 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ن ص 267 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 103 .
(9) المخزومي : المنهاج ، ص 5 .
(10) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 267 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 103 .
(11) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 37 .
(12) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 217 .

و- السمسم :

والسمسم من المحاصيل الصيفية التي انتشرت زراعتها بالاقليم في قرية صحرشت الصغرى [1] ، وكان يزرع في شهر برمودة ويحصد في شهر أبيب ومسرى ويحتاج الفدان في زراعته إلى ويبة واحدة [2] ، بينما يذكر المقريزي أن الفدان يحتاج إلى ربع ويبة[3] .

ونرجح أن هذا الاختلاف يرجع إلى طبيعة التربة فهناك تربة تحتاج إلى ويبة على حد قول ابن مماتي ، وتربة أخرى تحتاج إلى ربع ويبة . ويغل الفدان ما بين أردب [4] ، وتقسم الأرض إلى أحواض ثم تفتح فيها المياه ، وعند نمو النباتات يترك السمسم بدون سقية وعندما يكون السمسم قدر الأصابع يحتاج إلى سقية مدة الصيف [5] وفرض على الفدان دينار واحد سنويا [6] .

ز- الأرز :

من أهم المحاصيل الغذائية ، ويحتاج إلى قدر كافي من المياه ويزرع بوفرة في الدقهلية والمرتاحية لانخفاض أرضها [7] ، ويزرع في الحوف الشرقي في المنطقة الممتدة ما بين عين شمس والفرما [8] ويزرع في شهر بشنس [9] ، ويحصد في بابه [10] .

ي- القطن :

وكذلك القطن من المحاصيل الصيفية التي انتشرت زراعتها في مصر في العصر الفاطمي ، ونستدل على ذلك من اوراق البردي العربية، ففي بردية ترجع إلى القرن الرابع الهجري وردت العبارة الآتية " وسعر القطن عندنا سبعة أرطال بدينار " [11] .

---

(1) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 333 .
ذكرها الادريسي باسم صحرشت الصغرى وهي قرية عامرة وذكرها ابن مماتي باسم صهرجت الصغرى من أعمال الشرقية (ابن ممات ي: مصدر سابق ، ص 158) وفي سنة 1259هـ فصل من صهرجت هذه ناحية أخرى باسم كفر السيد وكان مستقلا بذاته مع أنه جزء من سكن صهرجت وفي فك زمام مديرية الدقلية سنة 1903م أضيف غلى صهرجت وصار ناحية واحدة باسم صهرجت الصغرى وكفر السيد .
محمد رمزي : القاموس ، جـ1 ، ق 2 ، ص 173 .
(2) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 265 .
(3) الخطط ، جـ1 ، ص 102 .
(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 265 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .
(5) ابن بصال : الفلاحة ن ص 114 .
(6) ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص 265 .
(7) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 34 .
(8) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 54 .
(9) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 251 .
(10) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 239 .
(11) جروهمان : أوراق البردي العربية ، جـ 6 ، ص 78 .

ويزرع القطن في برمودة ويحتاج الفدان في زراعته إلى أربع ويبات حب للفدان ، ويدرك في توت ويتحصل من الفدان من قنطارين إلى ثمانية قناطير [1] ، ويفرض على الفدان دينار واحد سنويا [2] .

(2) المحاصيل الشتوية :

أ- القمح :

القمح من أهم المحاصيل الزراعية الشتوية بالدلتا ، لأنه الغذاء الرئيسي لأهل البلاد [3] ، فيزرع في سنهور [4] ومسير [5] ، وحوف رمسيس [6] ومشتول الطواحين [7] ، ويحتاج الفدان منه في زارعته إلى ويبتين ويزرع في نصف بابه وآخر هاتور ، ويحصد في شهر بشنس ويزرع القمح على أثر القمح وزرع على أثر الكتان والشعير ، ومقدار ما يتحصل من فدان القمح من مكان لآخر حسب جودة الأرض من أردبين إلى عشرين أردبا [8] وأصلح الأرض لزراعته على أثر الباق والشراقي والشتاني[9] ، وفرضت على القمح ضريبة مقدارها ثلاثة أرادب لكل فدان وخفضها صلاح الدين الأيوبي 567 هـ / 1771 م إلى اردبين ونصف لكل فدان[10] .

ب- الشعير :

والشعير من المحاصيل الشتوية التي زرعت برشيد [11] ، وهو مفيد للأرض حيث يلتقط ملوحتها [12] ، ويزرع عزاقا في الأرض الرطبة ، وتقدم زراعة الشعير على زراعة

---

(1) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 265 – 266 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .
(2) ابن مماتي : قوانين الدواوين ن ص 266 .
(3) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الدولة الفاطمية في مصر ، ص 152 .
(4) سنهور السباخ من أعمال الشرقية . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 143 .
(5) مسير من أعمال الغربية . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 183 .
(6) المخزومي : المنهاج ، ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 259 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(7) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 195 .
(8)ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 258 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(9) المخزومي : المنهاج ، ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 259 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 101 .
(10) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 259 .
(11) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 343 .
(12) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 23 .

القمح بأيام وكذلك حصاده [1] ، ويحتاج الفدان إلى بذرة بحسب حالة الأرض [2] ، ويحصد في برمودة [3] .

جـ- الكتان :

كما انتشرت زراعة الكتان في صخا وسنهور ومنوف [4] ، وبالجوف الشرقي قامت على زراعة الكتان صناعة الحصر السامانى والعبداني [5] ، وكان الكتان يمثل المصدر الأساسي لأهالي حانوت [6] يقول الادريسي [7] " حانوت يزرع بها الكتان وهو غلتها وعليها يعول أهلها " .

واشتهرت سخا [8] بزراعة الكتان [9] ، وقامت على زراعة الكتان صناعة المنسوجات فاشتهر أهالي سنباط بصناعة نسيج الاثواب الناعمة والتي تباع في كافة أنحاء العالم [10] .

ويزرع الكتان في الأرض البرش ، ويحتاج إلى التسبيخ ، وتبدأ زراعته في شهر هاتور ويحصد في شهر برمودة [11] ، وطريقة زراعته تقتصر على القاء البذور في الحفائر أو على الماء [12] ويتحصل من الفدان حوالي ثلاثين حبلا ومن البذر من ثلاثة أرادب إلى ستة ، وقطيعة الخراج لم تكن ثابتة فتختلف من موضع لآخر وكانت بحكم الديوان ثلاثة دنانير [13] .

د- الفول :

والفول من المحاصيل التي زرعت في ضواحي القاهرة ، ويزرع في الحرث وفي البروبية في أول بابه ويأكل أخضرا في كيهك ، ويحتاج في زراعته من البذر حوالي نصف

---

(1) المخزومي: المنهاج ، ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 259 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(2) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(3) التطيلي : رحلة بنيامين ، ص 174 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 259 .
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 – 133 .
(5) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 54 .
(6) حانوت السباخ من أعمال الشرقية . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 126 .
(7) نزهة المشتاق ، ص 334 .
(8) سخا من أعمال الغربية . انظر ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 146 .
(9) المقريزي : الخطط ن جـ1 ، ص 163 .
(10) التطيلي : رحلة بنيامين ن ص 179 .
(11) المخزومي : المنهاج ، ص 3 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 261 – 262 .
(12) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 – 102 .
- مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ، ورقة 30 .
(13) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 262 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .

أردب [1] ، ويحصد في برمودة ويغل من أردبين إلى عشرين أردبا [2] وخراجه من ثلاثة أرادب إلى أردبين ونصف [3] .

هـ- القرط :

كان القرط يزرع بكثرة بالاقليم لأنه يستخدم كعلف للحيوانات يقول ابن زولاق [4] " يغسل اجواف الخيل وجميع الدواب ويقيها " واشاد الكندي بجودة مراعي بلبيس [5] ، ويزرع في الأرض التي حرثت وتلويقا في الأرض الخرس [6] ، وأوان زراعته في بابه ويدرك أخضر في كيهك والحراتي يزرع في كهيك وطوبه أو هاتور ، وكانت تغمر الأرض بالمياه ثم يبذر البرسيم [7] ويحتاج الفدان من التقاوي من اردب إلى أربع ويبات[8] ، ومقدار ما يتحصل من الحراتي من اردبين غلى أربع ويبات [9] والخراج على الفدان دينار سنويا [10] .

و- الترمس :

والترمس يزرع في طوبه ويحتاج الفدان إلى أردب واحد وادراكه في برموده ويتحصل منه حوالي عشرين اردب [11] وخراجه دينار على الفدان سنويا [12] .

ز- الخس :

وكذلك الخس من المحاصيل الزراعية التي انتشرت بالدلتا فيزرع في طوبة ويؤكل بعد شهرين [13] والزريعة الشتل يبلغ قيمتها من ربع دينار إلى نصف دينار ويتحصل منه عشرة دنانير [14] .

---

(1) المخزومي : المنهاج ن ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ن ص 260 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(2) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 260 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(3) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 260 .
(4) فضائل مصر (مخطوط) ، ورقة 23 .
(5) الكندي ك الولاة والقضاة ، تصحيح رفن جست ، مطبعة الأباء اليسوعيين ، بيروت 1908م ، ص 77 .
(6) المقريزي : الخطط ن جـ1 ، ص 101 .
(7) المخزومي : المنهاج ، ص 2 ، ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 262 – 263 .
(8) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 101 .
(9) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 263 .
(10) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 264 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .
(11) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 264 .
(12) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 103 .
(13) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 270 .
(14) نفسه ، ص 70 .

ى- الحمص والجلبان والعدس :

وقت الزراعة في هاتور إلى آخر كيهك ويزرع الجلبان في أرق الأرض حرثا في الأراضي العالية ، وتلويقا في الخرس ومقدار ما يحتاج فدان الجلبان من أربع ويبات إلى أردب [1] ويزرع البكر منه في أول كانون الثاني إلى آخر أدر ويحصد في آخر نيسان ومرة في أب [2] والحمص هو نبات مفيد للأرض حيث يلتقط ملوحتها [3] ويحتاج فدان الحمص في زراعته من أردب واحد إلى ثمان ويبات ، ومقدر ما يتحصل من الحمص من أربع أرادب إلى عشرة أرادب [4] .

والعدس لا تصلح زارعته في الأرض المالحة [5] . ومقدار ما يتحصل منه من خمسة أرادب إلى عشرين وقطيعة الخراج عن الجلبان والحمص والعدس أردبين ونصف من الفدان سنويا [6] .

ح- البصل :

كما يزرع البصل بالاقليم في مناطق مختلفة [7] . ويزرع في هاتور حتى آخر كيهك ، ويحتاج فدان البصل من نصف وربع ويبة إلى ويبة[8].

ويزرع البصل على مدار السنة ويحتاج في زريعته من ستة أرادب غلى سبعة ويستمر في الأرضلمدة شهرين، والمتحصل منه أربعة دنانير، وفرض على كل فدان دينارين سنويا [9]

ط- الثوم :

وأما الثوم فيحتاج الفدان من مائة حزمة إلى ماية وخمسين حزمة ويدرك في برمودة ومقدار ما يتحصل منه من عشرة دنانير إلى عشرين دينار [10] والثوم يزرع في الأرض البيضاء والرخوة [11] ، وقطيعة الخراج دينارين [12] وكذلك الكمون يزرع في تروجه[13]

---

(1) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 260 ، والمقريزي : الخطط ن جـ1 ، ص 101 .
(2) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ، ورقتان 26 – 27 .
(3) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 26 .
(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 260 .
(5) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 260 .
(6) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 261 .
(7) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 331 – 334 .
(8) ابن مماتي : وقانين الدواوين ، ص 261 .
(9) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 270 .
(10) ابن مماتي : نفس المصدر ، ص 263 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .
(11) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 43 .
(12) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 263 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .
(13) ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 27 – 28 . =

ومنية الفيران [1] ، وقت زراعته في شهر أمشير ويجنى في برمودة وتحتاج الزريعة إلى قدحين[2].

(3) الفاكهة :

اشتهرت الدلتا بزراعة كافة أنواع الفواكهة وفي مقدمتها البطيخ المعروف بالعبدلي والعبدلاوي [3] وعرف عند المؤرخين بالدميري نسبة إلى دميرة [4] التي تشتهر بجودته وندرته [5] وطريقة زراعته تحفر له في الأرض بعد السقي [6] ويزرع في نصف برمهات إلى نصف برمودة [7] ، ويبتدي البطيخ العبدلي في الظهور في أول بشنس [8] ، وتحتاج الزريعة إلى قدحين وتجنى في بشنس [9] ، ولهذا النوع أعناق ملتوية وقشرة ضعيف ويبلغ وزن الواحدة ما بين رطل إلى عشرة أرطال [10] ، ومقدار متحصله من دينار إلى عشرين[11].

كما اشتهرت الدلتا بانتاج التين والزيتون والعنب والجوز واللوز والقستق وسائر الفواكه [12] كما نجد بالاسكندرية الخرنوب والزيتون والموز [13] والتفاح الذي نال اعجاب عبد اللطيف البغدادي [14] " وأما رائحته فتفوق الوصف وتعلو المسك " .

واشتهرت قليوب بكثرة المشمش والخوخ [15] ، وانتشرت مزارع الرمان بوفرة في الدقهلية والرتاحية [16] واشموم ولكثرته يحمل إلى سائر مصر [17] ، والموز في

= - البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ1 ، ص 260 .

(1) الادريسي : نزهة المشتاق ن ص 334 .

(2) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 264 .

(3) ينسب إلى والي مصر عبد الله بن طاهر من قبل المأمون .
-عبد اللطيف البغدادي ن ص 33 ، مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 32 .

(4) عبد اللطيف البغدادي : الافادة ، ص 33 .

(5) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 196 .

(6) مجهول : مفتاح الراحة (مخطوط) ورقة 32 – 33 .

(7) المخزومي : المنهاج ، ص 3 ، ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 265 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .

(8) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ2 ، ص 377 .

(9) المخزومي : المنهاج ، ص 3 ، ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 265 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 102 .

(10) عبد اللطيف البغدادي : الافادة ، ص 33 .

(11) ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 265 .

(12) الغرناطي : تحفة الاحباب ، ص 206 – 207 .

(13) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 197 .

(14) الافادة ، ص 31 .

(15) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 105 .

(16) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 175 .
- ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 35 .

(17) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 127 ، ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ، جـ1 ، ص 25 .

فوه [1] ومحلة مسروق [2] ودمياط [3] والفناء بقرية الشاميين [4] وبحيرة الاسكندرية [5] وانتشرت زراعة الفقوص بالاقليم [6] .

وكان يوجد ببلبيس بساتين تشتمل على كافة الفواكه [7] ، وكذلك الورد والياسمين في دمياط ويستمر طول العام باشجاره بالوانه المختلفة ، ويتخذ منه دهن الزنبق [8] وبالجوز المائل بدمياط [9] ومحلة مسروق الذي يجلب إلى الفسطاط [10] .

وانتشرت الفواكه والبساتين في القليوبية [11] والمزاحمتين [12] .

سادساً : أدوات الزراعة :

وفيما يختص بأدوات الزراعة التي يحتاج إليها الفلاح في زراعة أرضه فكثيرة نذكر منها المحراث لشق الأرض للمحصول الجديد وجاء ذكر المحراث عند ابن مماتي [13] " واما البقر فتحرث الرأسان في كل يوم في الأرض القوية من ثلثي فدان ما دونه وفي الأرض اللينة من فدان إلى ما حوله " .

وتعد الساقية من أهم وسائل الري لرفع المياه إلى الأرض " مقدار ما تسقي الهمالية من الفدان القريب عشرة فدادين وزيادة أن كانت بعيدة من سبعة فدادين إلى مادونها " [14] .

وتنتشر السواقي على خليج الاسكندرية لري الأرض [15] ، وكان بتنيس دواليب كثيرة لنقل المياه إلى المصانع [16] كما انتشرت السواقي في بلبيس ودمياط على النيل [17] .

---

(1) الدمشقي : نخبة الدهر ، ص 231 .
(2) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 134 .
(3) العمري : مسالك الأبصار ، ص 94 ، ابن بطوطة : مهذب رحلة ابن بطوطة ، جـ1 ، ص 23 .
- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 54 .
(4) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 331 .
(5) المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 169 .
(6) عبد اللطيف البغدادي : الإفادة ، ص 33 .
(7) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 108 .
(8) عبد اللطيف البغدادي : الإفادة ، ص 34 .
(9) العمري : مسالك الأبصار ، ص 68 .
(10) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 134 .
(11) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 399 .
(12) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 403 .
(13) قوانين الدواوين ، ص 376 .
(14) المخزومي : المنهاج ، ص 4 ، ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 375 – 376 .
(15) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 222 .
(16) ابن بسام : انيس الجليس ، ص 185 – 186 .
(17) اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الأوسط ، ترجمة عبد الهادي عبلة ، دار قتيبة دمشق 1985م ، ص 61 .

ومن أدوات الزراعة التي تستخدم في قياس الأرض والتي اعتاد الفلاح على استخدامها في العصر الفاطمي القصبة الحاكمية [1] .

والمراكب من الأشياء الضرورية واللازمة للفلاح في نقل المحاصيل من ناحية إلى أخرى كما هو الحال بين المحلة وصندفا [2] ، ويستخدم أهالي نستراوه المعديات في حالة زيادة المياه [3] .

سابعاً : الثروة الحيوانية :

وترتبط الثروة الحيوانية بعلاقة وطيدة بالحياة الزراعية بالدلتا ، لما تؤديه من دور هام في مساعدة الفلاح لتأدية أعماله في الحرث وإدارة الساقية [4] ، واشتهرت مصر بتربية الأبقار [5] والجاموس بدمياط [6] ، ونستدل على أهميتها في الحياة الزراعية من حرص الخليفة الظاهر 417هـ / 1026 م على إصدار مرسوم يحرم على الناس ذبح الأبقار السليمة التي تصلح لحرث [7] .

كما ساعدت الحمير الفلاح على أداء عمله اليومي بالحقل [8] ، واستخدمت في نقل البضائع من مدن الدلتا إلى مصر [9] .

كما كانت البغال تستخدم في أغراض مختلفة كالحرب ونقل التجارة واشتغلت القبائل القيسية التي تزلت ببلبيس بنقل التجارة إلى بحر القزم[10].

وكذلك الأغنام من الحيوانات التي حرص الفلاح على تربيتها بهدف ذبحها والاستفادة من صوفها فمنها الكباش يقول الدميري [11] " الكباش محل الضأن " وانفردت قرية البشمور بتربية أجود أنواع الكباش [12] .

---

(1) ابن مماتي : المصدر السابق ، ص 279 ، النويري : نهاية الأرب ، جـ 1 ، ص 249 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 103 .
(2) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 200 .
(3) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 .
(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 276 .
(5) الكندي : فضائل مصر ، ص 69 .
(6) ابن بطوطة : مصدر سابق ، ص 23 .
(7) العيني : عقد الجمان (مخطوط) ، القسم الخامس ، ورقتان 738 – 739 .
(8) ابن ظافر : اخبار الدول ، ص 36 .
(9) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 41 .
(10) الكندي : الولاة والقضاء ، ص 77 .
(11) الدميري : حياة الحيوان الكبرى ، جـ 19 ، الجزء الثاني ، دار القاموس الحديث ، بيروت ، ص 233
الضأن تتميز بصوفها وهي جمع ضائن والأنثى ضائنة والجمع ضوائن .
انظر الدميري : المصدر السابق ، ص 66 .
(12) ياقوت : معجم البلدان ، صجـ 1 ، ص 428 – 429 . =

الفصل الثالث

الصناعة

ساهمت الدلتا في العصر الفاطمي في النشاط الصناعي ، كصناعة المنسوجات وصناعة السكر والعسل والحلوى ، وصناعة الزيوت وصناعة الزجاج والخزف وصناعة السفن .

أولاً : صناعة النسيج :

كانت من أهم الصناعات التي انتشرت بالدلتا وبلغت أوج ازدهارها في العصر الفاطمي وكانت مدينة تنيس من أعظم مراكزها فبرع أهل تنيس في حرفة الحياكة فصنعت بها ثياب الشرب والقميص المعروف بالبدنة [1] ، ويتميز بجودته وينسج من الذهب بما قيمته أربعمائة دينار . ويصنع لسلطان مصر ، وهذا القميص لا يحتاج إلى تفصيل غير الجيب والنبائق [2] ، وتبلغ قيمته 1000 دينار ، وبلغت قيمه الثوب الخالي من الذهب حوالي مائة دينار [3] .

ويرسم لنا ابن بسام[4] صورة واضحة للانتاج الهائل من المنسوجات ، إذ يقول " وبها من المناسيج التي تعمل فيها الثياب خمسة ألاف منسج عدد عمالها عشرة آلاف نفس سوى من يطيب ، أو يرقم من ذكر أو انثى عدد فيها من الاسفاط [5] خمسة آلاف سقط " واشتهرت تنيس بإنتاج أجود الثياب من الدبيقي[6]

= - القزويني : أثار البلاد ، ص 155 .

(1) البدنة : ثوب من الحرير مرقوم بالذهب يلبسه الخليفة الفاطمي يوم ركوبه . لفتح الخليج .
انظر : القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 515 .

(2) النبائق : مفردها نباقة وهي معمولة من التيل ومطرزة من الجهة الأمامية بالحرير الملون الأخضر والأصفر وتبقيه تشير إلى قطعة القماش التي وضعت في ردن قميص تحت موقع الأبط ومن المحتمل أن كلمة نباقة تحريفا لكلمة نباقية وهذا النوع من التيجان في العصور الغابرة .
انظر : دوزي : المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب ، ترجمة أكرم فاضل ، دار الحرية للطباعة ، بغداد 1971 م ، ص 78 – 79 .

(3) المراكشي : الاستبصار ، ص 87 – 88 ، الحميري : الروض المعطار ،ص 137 .
- المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 177 .
- علي بهجت : قاموس الأمكنة والبقاع ، الطبعة الأولى ، مطبعة التقدم 1906م ، ص 77 .
- عاصم محمد رزق عبد الرحمن : مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1989م ، ص 166 .

(4) انيس الجليس ، ص 185 .

(5) الاسقاط جمع سقط وهو وعاء كالقفة .

(6) الدبيقي نوع من الأقمشة المزركشة التي كانت تصنع في دبيق وهي بلدة بمصر قديمة وزالت وكانت واقعة على بحيرة المنزلة بالقرب من تنيس وموضعها اليوم تل دبيق في الشمال الشرقي لقرية صان الحجر وعيى 5500 متر منها مركز فاقوس .
انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 472 ، حاشية (3) .

والشروب[1] ، والمصبغات من الحلل التنسية التي ليس في جميع الأرض ما يدانيها في الحسن والقيمة[2] ،ولقد اشاد ناصر خسرو الذي زار مدينة تنيس في العصر الفاطمي بإزدهار صناعة النسيج بكافة أنواعها ومنها صناعة العمائم[3] التي تنسج للسلطان[4] .

وكذلك صنع بتنيس الثياب والأردية الملونة والقصب [5] الملون من عمامات ووقايات [6] وملابس النساء [7] ، كما اشتهرت بإنتاج البوقلمون الذي يتغير لونه بتغير ساعات النهار ، وكانت أثوابه تصدر إلى كافة البلاد [8] واشتهرت تنيس بصناعة الثياب الكتان الدبيقي والشفاف والأردية وأنواع المناديل المختلفة والمناشف [9] الفاخرة والأرجل والمخاد [10] ، وازدهرت صناعة الملابس الصوفية التي صنعت للخلفاء الفاطميين من الصوف الأبيض المرقمة بالذهب [11] .

---

(1) الشروب نوع من القماش الشفاف تدخله خيوط حريرية مذهبة .
Dozy : Supplment V.2 P.740

(2) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 143 ، الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 338 .
ابن دقماق : الانتصار ، ص 79 .

(3) تشير كلمة العمامة إلى الكلوته أو الكلوتات وهي قطعة القماش الملفوفة حولها والعمامة في العادة بيضاء اللون معمولة من الشاش الموصلي وتصنع من أقمشة مختلفة الألوان من الحرير الأسود المرصع بالذهب أو من الكشمير أو الصوف .
دوزي : المعجم المفصل ، ص 250 – 251 والعمامة من أغطية الرأس لبسها الرجال واختلف حجم العمامة تبعا لمركز وسن الشخص .
ثناء بلال : الملابس في العصرين القبطي والإسلامي ، الطبعة الأولى ، دار النهضة العربية ، القاهرة 1983م ، ص 40 .

(4) سفر نامه ، ص 38 .

(5) القصب ثياب من الكتان ناعمة .
الفيومي : المصباح المنير ، جـ 2 ، ص 691 .

(6) الوقايات مفردها وقاية وهي السيدارة بالوقاية تحت المقنعة والعصابة وهي شبة طاقية .
دوزي : المعجم المفصل ، ص 347 .

(7) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .

(8) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص 22 ، حاشية (1) .
- ناصر خسرو ، سفر نامه ، ص 38 ، أرم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ2 ، ص 298 .
- سعاد ماهر : النسيج الإسلامي ، الجهاز المركزي الحديث للكتب الجامعية ، القاهرة 1977 م ، ص 58 .

(9) المناشف مونثها منشفة ويستخدمها المؤلفون المصريون بمعنى Torchon Serviett
دوزي : المعجم المفصل ، ص 339 .

(10) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 53 .
- مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 23 .

(11) ابن ظافر : أخبار الدول ، ص 89 .

وذاعت شهرة منسوجات تنيس في كافة أرجاء العالم نستدل على ذلك من قول الكندي [1] " ليس في الدنيا منزلا إلا وفيه من ثوب تنيس ولو خرقة " [2] ، ومما يؤكد أهمية منسوجات تنيس وشدة الأقبال عليها من محاولة ملك فارس شراء حله [3] من كسوة السلطان وأرسل عشرين ألف دينار ، ولكن وكلاءه أقاموا في تنيس سنين عديدة ولم يحصلوا على مطلبهم [4] ، كما اشتد الطلب على منسوجات تنيس من القصب والبوقلمون من قبل الدولة البيزنطية [5] .

وحققت منسوجات تنيس أرباحا كثيرة فكانت تحمل سنويا إلى العراق ما تتراوح قيمته بين عشرين ألف دينار إلى ثلاثين ألف [6] .

وتوجد بقايا قطع نسيج بتنيس ترجع إلى العصر الفاطمي منها قطعة ترجع إلى عصر الحاكم بأمر الله مكتوب عليها " صلوات الله عليه وعلى أجمعين الأمام مما أمر بعمله في طراز العامة بتنيس سنة 391 هـ [7] .

كما توجد بقايا قطعة من طراز العامة مؤرخة بسنة 410 هـ " الملك الحق المبين اليقين الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله (ص) وعلى إله سلام الله عليه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه المنصور أبي علي الإمام الحاكم بأم الله أمير المؤمنين عبد الرحيم بن الياس بن أحمد بن المهدي بالله أمير المؤمنين سلام الله وبركاته وصلاته وعلى أبائه الطاهرية مما أمر بعمله في طراز العامة بتنيس سنة 410هـ " [8] .

---

(1) فضائل مصر ، ص 67 .
(2) الخرقة القطعة من خرق الثوب إذ مزقته وخرقت الثوب إذا شققته .
ابن منظور : لسان العرب ، جـ1 ، ص 73 وكلمة خرقة تشير إلى الرداء الغليظ الذي يلبسه الفقراء المتصوفة في الشرق وخرقة تعني قطعة قماش .
دوزي : المعجم المفصل ، ص 126 .
(3) حلة عبارة عن ازار ورداء وتتكون من ثوبين أو ثوب له بطانة .
الفيروز إبادي : القاموس المحيط ، جـ3 ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية ، القاهرة 1330 هـ ، ص 359
(4) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 ، زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص 114 – 115 .
- زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ص 351 .
- سعاد ماهر : النسيج ، ص 58 .
(5) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .
(6) ابن دقماق : الانتصار ، ص 79 .
(7) Wiet : Repertoire V.6 P.39
(8) Wiet : Repertoire V.6 P.118

وهناك قطعة ترجع إلى عصر الظاهر لاعزاز دين الله مكتوب عليها " الإمام الظاهر لاعزاز دين الله أمير المؤمنين بن الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين ، أمر بعمله في طراز العامة بتنيس 412هـ "[1].

وتميزت المنسوجات الفاطمية بالكتابة الكوفية والنقوش الزخرفية ، ففي قطعة من الكتان منسوج فيها بالحرير الأبيض والأخضر والأصفر ثلاثة أشرطة زخرفية الأوسط منها محصور بين سطرين متعاكسين من الكتابة الكوفية تقرأ في العلوي منها " بسم الله الرحمن الرحيم .. لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله على ولي الله " وفي السطر الثاني " نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الأمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صوات " [2].

وكانت دمياط من أكبر مراكز صناعة النسيج في مصر ، وشاركت تنيس في إنتاج أجود أنواع الثياب في مصر [3] من الشرب والمقصبات[4]، وكما تخصصت تنيس في صنع المنسوجات المصبوغة تخصصت دمياط في صنع المنسوجات الكتانية البيضاء [5] يقول ياقوت " ولا يعمل بدمياط مصبوغ ولا بتنيس أبيض " وبلغت قيمة الثوب الأبيض بدمياط وليس فيه ذهب ثلاثمائة دينار ، وبلغت منسوجات دمياط حداً كبيراً من الروعة والدقة حتى أنه بيعت حلتان دمياطيتان في سنة 398هـ بثلاثة آلاف دينار ، وهذا مما لم يسمع بمثله في بلد [6] واشتهرت دمياط بعمل القصب البلحي من كل فن [7] والثياب الدبيقية والطراز الدمياطي والشرب الدبيقي والبقايير [8] القلموني بكافة أنواعه ومناشف الأبدان والأرجل التي تهدي إلى جميع ملوك الأرض [9].

وقامت بدمياط مصانع أهلية قبلي المدينة على الخليج الذي يمر عبرها ويصب في بحيرة تنيس ، وهذه المصانع تسمى بالمعامل يستأجرها الحاكة لعمل ثياب الشرب [10].

---

(1) Ibid P.173

(2) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .

(3) الاسطخري : المسالك ، ص 41 .

(4) ابن دقماق : الانتصار ، ص 79 .

(5) معجم البلدان ، جـ2 ، ص 473 ، القزويني : آثار البلاد ، ص 193 .
- ابن ظهيرة : الفضائل ، ص 54 ، دائرة المعارف الإسلامية (مادة دمياط) .

(6) ياقوت : معجم البلدان ، جـ2، ص 473 ، ابن ظهيرة : الفضائل ، ص 53 .
مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 23 .

(7) ابن ظهيرة : الفضائل ، ص 54 .

(8) البقايير : ملابس القضاء ويقصد بكلمة بقيار بالفارسية نوعا من الثياب المصنوعة من وبر البعير ، انظر دوزي : المعجم المفصل ، ص 74 .

(9) ياقوت : معجم البلدان ، جـ2 ، ص 473 .

(10) ياقوت : معجم البلدان ، جـ 2 ، ص 473 . =

وتوجد بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة بقايا قطعة نسيج من الكتان بزخرفة منسوجة بالحرير تحمل اسم الخليفة الحاكم بامر الله صنعت بدمياط سنة 387هـ / 997م مكتوب عليها " بأمر الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى أبائه الطاهرين وسلم تسليما مما أمر بعمله في طراز الخاصة بدمياط سنة سبع وثمانين وثلثمائة الخير مقبل أن شاء الله"[1] .

ويناقش نصر عوض حسين الأسباب التي أدت إلى شهرة دمياط وتفوقها في صناعة النسيج منها ملائمة الطقس المعتدل الرطب وقرب دمياط من مناطق زراعة الكتان ووجود الأسواق ومهارة الصناع الموروثة منذ أجيال طويلة في هذه الحرفة [2] .

وتعد دبيق من أعظم مراكز النسيج بالدلتا منذ فجر الإسلام ، ثم تفوقت عليها دمياط وتنيس فيما بعد [3] ، واشتهرت بصنع الثياب الدبيقية ، وهي ثياب نفيسة [4] ، وكانت من أعظم مراكز صناعة المنسوجات الحريرية المشهورة بالدبيقي وهي أنواع فاخرة من الأقمشة الكتانية الموشاة بالحرير والذهب [5] ويذكر ناصر خسرو أنه رأى قميصا يساوي عشرة آلاف دينار [6] وكان القماش الدبيقي الثقيل المعروف بجودة صنعه إذا انشق كان له صوت عال وكان هذا القماش يستعمل في رسم الخرائط بالأصباغ المشمعة [7] ، وازدهرت بدبيق صناعة العمائم في عهد العزيز بالله الفاطمي 365 – 386 هـ ، صنعت العمائم الشرب المذهبة طول الواحدة مائة ذرع وتحتوي على رقمات منسوجة بالذهب ثمن العمامة خمسمائة دينار فيما عدا الحرير والغزل [8] ، ومما يدل عل ازدهار صناعة المنسوجات بدبيق أن أطلق على احدى قرى بغداد من نواحي " نهر عيسى " الدبيقية

= - القزويني : آثار البلاد ، ص 193 .

(1) متحف الفن الإسلامي ، سجل رقم 13015

(2) صناعة النسيج في العصر المملوكي ، رسالة ماجستير،كلية الآداب بسوهاج ،جامعة أسيوط 1982م،ص61

(3) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ 2 ، ص 296 .

(4) الثعالبي : لطائف المعارف ، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرين ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة 1960 م ، ص 17 . والمسبحي : اخبار مصر ، ص 25 ، حاشية (5) .

(5) الدمشقي : الإشارة إلى محاسن التجارة ، ص 26 .
- احمد مختار العبادي : الحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية ، مجلة عالم الفكر ، مجلد 11 لسنة 1980 م ، ص 142 .

(6) سفر نامه ، ص 54 .

(7) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ2 ، ص 296 – 297 .

(8) المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 226 ، ابن ظافر : أخبار الدول ، ص 35 .
- ابو السرور : قطاف الازهار (مخطوط) ورقة 33 .
- دائرة المعارف الإسلامية (مادة دبيق) .

المصرية ، وكانت أكبر مراكز صناعة المنسوجات بالعراق تباع منسوجاتها تحت اسم دبيقية على أنها مصرية حتى يروج التجار العراقيون بضاعتهم واستمرت شهره دبيق حتى القرن الخامس تقريبا ثم زالت أهميتها مع غيرها من مراكز بحيرة تنيس . قياقوت يقول " بلد قريب تنيس خراب الأن . ثم ذكرها باسم دبقا وإليها تنسب الثياب الدبيقية " [1] .

وشاركت مدينة شطا بسهم وافر في ازدهار صناعة النسيج بالدلتا ، فكانت تشتهر بصناعة نوع من الثياب المعروف بلشطوى [2] يقول المقدسي [3] " وأما الثياب الشطوية فلا يمكن القبطي أن ينسج شيئا منها إلا بعدما يختم عليها بخاتم السلطان ولا أن تباع إلا على يد سماسرة قد عقدت عليهم وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدة ثم تحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدها بالقش ثم إلى من يشدها في السفط وإلى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم ياخذه " .

كما اشتهرت بصنع الشرب الرفيع الذي يبلغ قيمة الثوب منه ثلاثمائة درهم ولا ذهب فيه [4] واشتهرت بنسيج كسوة الكعبة ففي قطعة نسيج مؤرخة بتاريخ سنة 191 هـ / 806 – 807 م مكتوب عليها " بسم الل بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولى أميرالمؤمنين بصنعته في طراز شطا كسرة الكعبة سنة أحدى وتسعين ومائ [5] .

وتوجد بقايا قطع نسيج من شطا ترجع إلى مستهل الحكم الفاطمي لمصر مؤرخة بسنة 357 هـ / 967 – 968 م مكتوب عليها " بشطا على يد فائز مولى أمير المؤمنين أطال الله بقاه سنة سبع وخمسين وثلاثمائة الخير مقبل أن شاء الله " [6] .

كما عثر على قطعة أخرى ترجع إلى عصر الحاكم بامر الله بتايخ 387 هـ / 997م " أمر بعمله في طراز الخاصة بشطا لا إله إلا الله الخبر مقبل إن شاء الله " [7] .

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، جـ 2 ، ص 438 .
(2) ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 342 ، القزويني : آثار البلاد ، ص 209 .
- اليعقوبي : البلدان ، ص 338 ، المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 226 .
- علي بهجت : قاموس الأمكنة والبقاع ، ص 136 .
(3) احسن التقاسيم ، ص 213 ، نقولا يوسف : تاريخ دمياط ، مطبعة التحرير ، القاهرة 1959م ، ص 112 .
(4) القزويني : آثار البلاد ، ص 209 .
(5) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 226 .
- Eiet : Repertoire V.1 P.63
- علي بهجت : قاموس الأمكنة والبقاع ، ص 136 .
(6) زكي محمد حسن :أطلس الفنون الزخرفية ، مطبعة جامعة القاهرة 1956 م ، ص 471 .
(7) Wiet : Repertoire V.6 P.29

وتونة من مدن شرق الدلتا التي اشتهرت بصناعة كسوة الكعبة فورد على قطعة نسيج صنعت بسنة 190 هـ/ 806 – 807 م " بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون أمير المؤمنين مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز تونة 190 هـ [1] .

وشهد العصر الفاطمي تطور فن الكتابة على المنسوجات بتونة ففي قطعة ترجع إلى عصر الخليفة الحاكم بأمر الله " بسملة الحاكم بامر الله أمير المؤمنين بن العزيز بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه مما أمر بعمله في طراز الخاصة بتونة " [2] .

وكذلك بقايا قطعة ترجع إلى عصر المستنصر بالله " معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله وعلى أبائه الطاهرين مما أمر بعمله الوزير الأجل الكل بين مما أمر بعمله الوزير الأجل الكامل علي بن أحمد أمتع الله به وأيده وعضده في طراز العامة"[3] .

كما توجد قطعة أخرى مكتوبا عليها " أحمد صفي أمير المؤمنين وخالصته أبو القسم علي بن أحمد أمتع الله به وأيده وعضده في طراز العامة بتونة سنة 427هـ [4] .

كما اشتهرت بورة بصناعة العمائم البورية [5] ، وأبوان احدى قرى دمياط ينسب إليها الشرب البوني وهو من الشرب الفائقة [6] ، ومن مناطق شرق الدلتا التي اشتهرت بصناعة المنسوجات دميره فصنعت بها الثياب الشرب [7] .

ومن القرى التي اشتهرت بصناعة النسيج برنبال القديم ذكرها ياقوت باسم بيورنبار على نهر اشموم قرب دمياط بين البسراط واشموم حيث يعمل فيها الشرب الفائقة الجيدة العريضة [8] وذكرها ابن دقماق [9] بقوله " بايانباره وطرازها " ، وتشتهر بلدة القيس من بلاد جزيرة تنيس بالثياب القيسية [10] .

ومن أهم مراكز صناعة النسيج بوسط الدلتا مدينة أبيار فيعمل بها القماش الابياري المحرر الذي يفوق الاسكندراني وتصنع بها الأبراد الغربية [11] وكانت منسوجات أبيار

---

(1) المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 281 .
(2) Wiet : Repertoire V. 6 P.160
(3) Wiet : Repertoire V.7 P.7
(4) Ibid PP . 12 – 13
(5) ياقوت : المشترك ، ص 69 .
(6) البغدادي : مراصد الإطلاع ، جـ 1 ، ص 20 .
(7) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 340 .
(8) ياقوت : معجم البلدان ، جـ 1 ، ص 320 .
(9) الانتصار ، ص 105 .
(10) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 182 .
(11) ابن دقماق : الانتصار ، ص 99 ، عاصم محمد رزق : مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، ص 132 .

تصدر إلى بلاد الشام والعراق لجودتها[1] ، واشتهرت قرية سنمبوطية بصنع القماش السنباطي من الغزل الذي لا نظير له [2] .

وتعد الاسكندرية أهم مراكز لصناعة النسيج في منطقة غرب الدلتا، فكانت منسوجاتها تصدر إلى كافة أنحاء العالم يقول العمري [3] " وليس في الدنيا نظير شربها وطرازها المعمول بها والمحمول إلى أقطار الأرض شرقا وغرباً " . واشتهرت منسوجات الاسكندرية بجودتها ودقة صناعتها ونستدل على ذلك من قول القلقشندي [4] " وفيها ينسج القماش الفائق الذي ليس له نظير في الدنيا وتمير في قماشها جميع الاقطار " .

وانفرد ثغر الاسكندرية بإنتاج الأقمشة المختلفة التي قلما توجد في مكان آخر [5] ، وسر ازدهار تلك الصناعة أنها قامت على اكتاف الاقباط غريبا أن يطلق على المنسوجات المصرية اسم قباطي نسبة إلى أقباط مصر الذين تفوقوا في هذه الصناعة [6] ، وازدهرت صناعة النسيج فانتجت أجود المنسوجات والمقصبات [7] ، وقد عرفت ثياب الاسكندرية بارتفاع أسعارها فمنسوجاتها الكتانية التي تصنع منها الشرب كان يباع كل زته درهم بدرهم فضة وبعضها كان يباع نظير وزنه عدة مرات [8] .

واكتسبت بلقطر [9] شهرة فائقة في إنتاج الملابس الصوفية[10]، ودمنهور بالثياب الدمنهورية [11]

(1) ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطة ، جـ 1 ، ص 21 .
(2) ابن دقماق : الانتصار ، ص 91 .
(3) مسالك الأبصار ، ص 88 – 89 .
(4) صبح الأعشى ، جـ 3 ، ص 408 .
(5) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 41 .
(6) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها ، ص 171 .
(7) العمري : مسالك الأبصار ، ص 89 .
(8) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 163 .
- آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ 2 ، ص 296 .
- عاصم محمد رزق عبد الرحمن : مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، ص 105 .
(9) بلقطر من أعمال البحيرة . ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 114 .
- الوطواط : مباهج الفكر ، ص 131 ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ1 ، ص 219 .
- ابن الجيعان : التحفة السنية ، ص 124 .
(10) ابن دقماق : الانتصار ، جـ 5 ، ص 105 .
(11) ابو الفداء : البلدان ، ص 106 .

دور الطراز :

كانت دور الطراز نوعين ، طراز الخاصة وطراز العامة .

(1) طراز الخاصة :

أهتم الخلفاء الفاطميين بصناعة النسيج ، وكانت وظيفة " صاحب الطرز " الاشراف على صناعة النسيج في البلاد ، وتسند تلك الوظيفة إلى كبار الموظفين من أرباب الأقلام ويكون مقربا من الخليفة ومقره بدمياط وتنيس.

وكانت دار الطرز تنقسم إلى موضعين أولهما يعرف بالخزانة الكبرى وتزخر بكافة أنواع الأقشة الفاخرة بدمياط وتنيس والاسكندرية من الشرب الخاص الدبيقي والسقلاطون لعمل ملابس الخليفة ومسلتزماته في الخلع والتشريف وثانيهما معدة للباس الخليفة وتعرف بالطشت خاناه وإليها ينقل القماش المفصل بالخزانة الأولى من قماش الخليفة وغيره.

(2) طراز العامة :

اطلق تسمية طراظ العامة على المصانع الأهلية التي اختصت بالمنسوجات التي تباع للأهالي وكانت هذه المصانع تخضع لإشلاف حكومي دقيق ويتضح هذا من حديث المقدسي إذا يقول " وإما الثياب الشطوية فلا يمكن أن ينسج شيئا منها إلا بعد ما يختم بختم السلطان ولا أن تباع إلا على يد سماسرة قد عقدت عليهم وصاحب السلطان يثبت ما يباع في جريدته ثم تحمل إلى من يطويها ثم إلى من يشدها بالقش ثم إلى من يشدها في السفط وإلى من يحزمها وكل واحد منهم له رسم ياخذه ثم على باب الفرضة يؤخذ شيء أيضا وكل واحد يكتب على السفط علامته ثم تفتش المراكب عند اقلاعها " وتشتهر المصانع الأهلية بجودة انتاجها وكان التاجر ينقص من ثمن الثياب التي يعلم بخروجها من هذه المصانع قبل أن تتم ولو بشهر واحد يقول ياقوت [1] " ومن ظريف أمر دمياط في قبليها الخليج يستعمل فيه غرف تعرف بالمعامل يستأجرها الحاكة لعمل الثياب الشرب فلا تكاد نتجب إلا بها . فالعمل ثوب وبقي منه شهر ونقل من هذه المعامل علم بذلك السمسار المبتاع للثوب ينقص من ثمنه لاختلاف جوهر الثوب عليه " [2].

ثانيا : صناعة السكر والعسل والحلوى :

اشتهرت الدلتا بزراعة القصب بكميات وفيره ، فقامت على زراعته صناعة السكر ففي ثغر دمياط كان يوزع السكر على سائر الأقاليم [3] ، وانتشرت معاصر السكر في مدينة تنيس فكان بها مائة معصرة [4] .

---

(1) احسن التقاسيم ، ص 213 .
(2) معجم البلدان ، جـ2 ، ص 473 .
(3) ابن شاهين : زبدة كشف المماليك ، ص 35 .
(4) ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ1 ، ص 49 .

ومن مراكز صناعة السكر ترنوط [1] ، التي اشتهرت بكثرة طواحين السكر ومنية العلوق [2] وشنشا [3] ، واشتهرت دسي جمول [4] بصناعة السكر والقند [5] والصافية عرفت بكثرة معاصر السكر [6] وكانت صناعة السكر من القصب تتم على عدة مراحل حيث كان القصب يقطع ويقشر ثم يلقى في أسفل الحجارة ليعصر . وكان المعاصر تدار بالأبقار وتستخدم الحجارة في عصر القصب ولكل مرحلة عمال يختصون بعمل معين فقد وردت في بردية ترجع إلى نهاية القرن الثالث الهجري اسماء مثل " القطاعين ، المقشرين ، الرصاص ، الطراح ، غلمان ، الأباليج"[7].

وفي شهر هاتور يكسر قصب السكر برسم المعاصر [8] ، وفي شهر كهيك يتم كسر قصب السكر واعتصاره ، ويستدعى الطباخون لطبخ القنود [9] ، يقول ابن مماتي [10] " وكانت غاية أدارة المعاصر إلى النيروز " وللسكر مصانعه الخاصة به والتي عرفت باسم " المطابخ " وفرضت عليها الحكومة الفاطمية ضرائب باهظة نستدل على ذلك من الرسوم التي الغاها صلاح الدين الأيوبي في مصر والقاهرة . فبلغت حوالي 135 دينارا [11] واهتمت الدولة القاطمية بصناعة السكر فانشأت المعاصر السلطانية ويرى الدكتور حسن ابراهيم حسن أن الدولة احتكرت هذه الصناعة مستندا في ذلك لأن الدولة اجبرت الفلاحين على حمل أقصابهم إليها ، ومعللا ذلك الاحتكار بالأموال الطائلة التي كانت تحصلها الدولة من خراج الأراضي المزروعة قصبا [12] ، لكن الدكتور راشد البراوي يؤكد بأن الحكومة

---

(1) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا ، ص 2 ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 27 .
ترنوط قرية تقع على النيل بين مصر والاسكندرية أكثر فواكه الاسكندرية منها .
ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 27 ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ1 ، ص 253 .
(2) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 326 .
(3) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 339 ، شنشا من أعمال المرتاحية ، ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 152
(4) تقع بالقرب من سنديون . انظر ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 134 .
(5) القند : عسل قصب السكر أذا جمد معرب كند هو قصب السكر ومنه الكردي .
القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 134 .
(6) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 134 .
(7) جروهمان : أوراق البردي العربية ، جـ3 ، ص 232 – 233 ، والاباليج جمع أبلوجه وهي قوالب من السكر هرمية الشكل ، جروهما ن : أوراق البردي العربية جـ3 ص ، 234 .
(8) المقريزي : الخطط ، جـ 1 ،ص 270 .
(9) نفسه ، ص 271 .
(10) قوانين الدواوين ، ص 266 .
(11) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 105 .
(12) الدولة الفاطمية ، ص 594 .

الفاطمية لم تحتكر صناعة السكر والواقع أن انتشار هذه الصناعة في جميع أرجاء البلاد واهتمام السلطات الفاطمية بها وحرصهم على كثرة السكر يوحي أنهم احتكروا هذه الصناعة [1] .

ويقول الدكتور محمد إدريس [2] والحقيقة أنهم لم يحتكروها بل تركوا مسابك السكر ومعاصر القصب حره لكل فرد كما يدل على ذلك ما ورد في أوراق البردي العربية فقد ورد بها كشف توزيع سكر على الأهالي من وكيل أحدى الضياع في مناسبة معينة .

كما ازدهرت صناعة العسل في مصر الذي تميز بجودته يقول ابن زولاق [3] " وفضل سائر عسل مصر على سائر الأعسال " وكانت شراب العسل بعد من مفاخر المصريين " للذاته وطيبة " [4] ومن أهم مراكز صناعة العسل بالدلتا مدينة بنها التي ضربت بسهم وافر في انتاجه واشتهرت بجودة عسلها [5] واشتهرت قرية شبروا بصناعة " شراب العسل " [6] وكذلك اشتهرت قرية شبرا دمنهور بالعسل ويبدو أنه كان خاضعا لرقابة الدولة الفاطمية نستدل على ذلك من قول ابن حوقل " وجمع مالها للسلطان " [7] .

وكان عسل النحل يجنى مرتين في العام الأول في الربيع ويتسم بجودته ، والثانية في الخريف وهو الأقل ولفصل العسل عن الشمع بعدة طرق منها : التسخين على النار حيث يطفو الشمع ويبقى العسل في القاع، والطريقة الثانية هي الاعتصار بالأيدي أو الأرجل وذلك لفصل الشمع عن العسل الذي يستخلص بهذه الطريقة أفضل من العسل الذي يستخرج عن طريق التسخين ، وأما الكميات الضخمة من العسل الخام فكانت توضع في معصرة خاصة يلقى فيها الشهد فيكسر الشمع ويبرز العسل عفوا ويجري ويسيل في حياض خاصة معدة لذلك بعد إزالة الشمع [8] .

---

(1) حالة مصر الاقتصادية ، ص 178 .
(2) الحضارة الإسلامية ، ص 213 ، 214 .
(3) فضائل مصر (مخطوط) ورقة 24 .
(4) ابن الفقية : البلدان ، ص 66 .
(5) اليعقوبي : البلدان ، ص 337 ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ1 ، ص 501 .
(6) البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ1 ، ص 226 .
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 150 ، الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 330 .
(7) صورة الأرض ، ص 150 .
(8) المقريزي : نحل عبر النحل ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مكتبة الخانجي، القاهرة 1946م ، ص 27 – 28

وأجود مراعيه القرط [1] ، والجلبان ، وتسقى أمهاته العسل عند اشتداد البرد وحدوث الهواء الشديد ، ومقدار ما تسقى المائة عشرة أرطال بالمصري ومتحصل كل مائة خلية في السنة ، وما يتراوح ما بين ستة قناطير [2] إلى خمسة قناطير وعشرون [3] رطلا من الشمع [4] ، واشتهرت الدلتا بصناعة الحلوى بكميات كبيرة لتوفر السكر [5] .

ثالثاً : صناعة الزيوت :

قامت صناعة الزيوت على مواد الخام الزراعية المتوفرة بالأقليم بكثرة، كالسمسم والزيتون والفجل ، ومن أهم مراكز صناعة الزيوت بالدلتا مدينة ، قليوب التي اشتهرت بمعاصر الشيراج والزيت الحار [6] ، وكان بتنيس مائة معصرة للزيت الشيرج [7] ، وبشبرا الخيمة معاصر شيراج وزيت حار [8] كما قامت صناعة الزيوت على استخراجه من نبات السمسم فقامت بمنيه الأمراء [9] وعرفت باسم منيه الشيراج [10] التي اشتهرت بمعاصر السمسم الذي يستخرج منه زيت السمسم [11] ، كما اشتهرت سخا بزيت الفجل الذي يستخرج من نبات الفجر [12] ، ومما يدل على ازدهار صناعة الزيوت ، وتوفره بكميات كبيرة بالدلتا وجود اسواق لبيع الزيت فكان بالمحلة سوق زيت حسن [13] ، ونتعرف على مراحل صناعته من أشارة ابن الأخوة [14] ، إلى معاصرة الشيرج إذ يقول " يمنعهم أن يعملوا السمسم إلا بعد غسله وتغطيته وتحميصه ودقه حتى تطير قشرته ثم بعد ذلك بطحته ولا يمكن احد من الصناع أن ينزل لعصر الشيرج قبل تنظيف رجليه وأن يغطوا بالأبراش بعد العمل " كما يعد دهن البلسان من فضائل

(1) القرط نوع من البرسيم لعلف الحيوانات .
(2) القنطار المصري مائة رطل ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 441 .
(3) الرطل المصري مائة أربعة واربعون درهما ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 441 .
(4) المقريزي : نحل عبر النحل ، ص 33 .
(5) عبد اللطيف البغدادي : الافادة ، ص 74 .
(6) ابن دقماق : الانتصار ، ص 48 .
(7) ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ1 ، ص 49 .
(8) ابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
(9) منيه الشيراج تبعد عن القاهرة بثلاثة أميال في طريق القاصد للاسكندرية ، ياقوت ك معجم البلدان ، جـ2، ص 218
(10) ياقوت : معجم البلدان ، جـ5 ، ص 218 .
(11) ابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
(12) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 .
(13) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 196 .
(14) معالم القربة في احكام الحسبة ، ص 332 .

مصر [1] ، وقد اشتهرت قرية المطرية بزراعته وليس في جميع العالم منطقة تنافسها في زراعته [2] ، وكانت المساحة المزروعة منه حوالي سبعة أفدنة ويتحصل منها ما يزيد عن عشرين رطلا من الدهن الخالص ، وهو ما يستخرج من نحو مائتين رطل ويباع في مكانه بضعفه فضة [3] .

ولدهن البلسان فائدة طبية فكان يحمل إلى الشام والمارستانات لمعالجة المبرودين وأعيان النصارى من الحبشة والفرنجة [4] .

وفيما يختص بصناعة الشمع يعتقد الدكتور راشد البراوي [5] بان مدينة الاسكندرية كانت من أهم مراكز صناعة الشمع بسبب رطوبة الجو مما أثر في تماسك المواد المصنوعة منها الشمع ، وهذا يحملنا على الاعتقاد بوجود هذه الصناعة في مدن الدلتا الساحلية مثل دمياط وتنيس ، ويتضح أن أغلب المصادر التزمت الصمت عن تلك الصناعة ، لأن صناعة النسيج كانت غالبة على هذه المدن ، وليس صحيح ما ذهب إليها الدكتور راشد البراوي بتغلب صناعة النسيج على بقية الصناعات في تنيس ودمياط ونستند إلى إشارة الرحالة للصناعات المختلفة في تلك المدن كصناعة الحديد وطحن الحبوب بتنيس وصناعة السفن والحصر بدمياط .

---

(1) الكندي : فضائل مصر ، ص 69 .
(2) الجاحظ : التبصر بالتجارة ، ص 25 .
- الاصطخري : المسالك ، ص 42 .
- ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 56 .
- الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 326 .
- الهروي : الاشارات ، ص 34 .
- عبد اللطيف البغدادي : الافادة ، ص 23 .
- القزويني : اثار البلاد ، ص 150 .
- ابن الوردي : جريدة العجائب ، ص 153 .
- البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ3 ، ص 1284 .
- ابن أياس : بدائع الزهور ، جـ1 ، ص 5 .
- ابو السرور : قطاف الازهار (مخطوط) ورقة 34 .
(3) عبد اللطيف البغدادي : الافادة ، ص 23 – 24 .
(4) ابن شاهين : زبدة كشف المماليك ، ص 34 .
المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 230 .
(5) حالة مصر الاقتصادية ، ص 182 .

رابعاً : صناعة الزجاج والخزف :

ازدهرت صناعة الزجاج في الاقليم منذ عهد الأسرة الثامنة عشر واستمر ركب الازدهار في تلك الصناعة في العصر الغريقي والروماني [1] وفي العصر الإسلامي بلغت صناعة الزجاج درجة عظيمة من التقدم والرقي وكانت مراكزها الرئيسية في العصر الفاطمي ، الفسطاط والفيوم والاسكندرية ، فكان يصنع الزجاج ذو الزخارف من الخيوط والأكواب ذات الخيوط الزرقاء والأواني باشكالها المختلفة ، ومن أهم الأعمال الفنية الرائعة الزجاج ذو البريق المعدني والوان المينا [2] وكانت الاسكندرية أهم مراكز صناعة الزجاج فلقد كشفت الحفائر الأثرية بمنطقة كوم الدكة كميات من القطع الزجاجية والبلورية ، وقطع من الزجاج المزيم مذهبة ومموهة بالميناء ، من النوع الشائع في المشكاوات [3] والتحف الزجاجية[4] ، واشتهرت قرية سمناي [5] بصناعة الزجاج فعثر في سنة 837هـ/1433م على غضارات [6] زجاج كبيرة مكتوب على بعضها " اسم الإمام المعز لدين الله ، وعلى بعضها اسم الإمام الظاهر لاعزاز دين الله والمستنصر " [7] ، وشاهد الرحالة ناصر خسرو الذي زار مصر في العصر الفاطمي مدى التقدم الهائل لصناعة الزجاج فكان البقالون والعطارون وباعة الخردة يعطون ما يبيعونه في أواني مصنوعة من الزجاج [8] والخزف من أهم الفنون التطبيقية الإسلامية ، وهو من المواد الاثرية ،القيمة [9] ومن أهم مراكز صناعته مدينة الاسكندرية فاشتهرت بصنع التحف الفخارية الصغيرة المتخذة للزينة كالكؤوس ذات الرسوم البارزة [10] ، ومما يدل على مدى التقدم الهائل الذي حققته مدينة الاسكندرية في صناعة

---

(1) زكي محمد حسن : كنوز الفاطميين ، ص 176 .
(2) ديماند : الفنون الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ترجمة أحمد عيسى ، دار المعارف ، القاهرة 1958م ، ص 234 – 235 .
(3) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها ، ص 176 – 177 .
(4) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية ، جـ1 ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية 1971م ، ص 164 .
(5) سمناي من قرى جزيرة تنيس .
المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 181 .
(6) غضارات مفردها غضارة وهي الطين الحر وقيل الطين الأزب الأخضر والغضار ، الصفحة المتخذة منه . ابن منظور : لسان العرب ، جـ5 ، ص 22 – 23 ، Dozy : Supplment V .2 P.216
(7) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 181 .
(8) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 61 .
(10) حسن الباشا : الحضارة الإسلامية ، ص 177 .
(11) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص 175 .

الخزف من الحفائر الأثرية التي قامت بها كلية الآداب جامعة الاسكندرية في منطقة كوم الدكة سنة 1948م والتي كشفت قطع هائلة من الخزف الفاطمي [1] .

كذلك كشفت البعثة البولندية التي تقوم بحفائرها في منطقة كوم الدكة عن وجود كميات كبيرة من الخزف الفاطمي المعروف ببريقه الذهبي [2] .

ومما يدل على رسوخ قدم هذه الصناعة في العصر الفاطمي ما شاهده الرحالة ناصر خسرو من أن البقالين وغيرهم من التجار كانوا يضعون في أوان ما يبيعونه في أوان من الخزف بدلا من الورق [3] ويزخر متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، ببقايا بعض النماذج الأثرية التي ترجع إلى العصر الفاطمي ، فيوجد طبق مزخرف بالبريق المعدني عليه رسم عازفة على الجيتار [4] وهناك بقايا أجزاء من طبق كبير من الخزف ذو البريق المعدني على حافته اسم الخليفة الحاكم بأمر الله [5] .

خامساً : صناعة السفن :

من أهم الصناعات التي ازدهرت بالدلتا في العصر الفاطمي ، فشيدوا دورا للصناعة في مصر والاسكندرية ودمياط [6] ، واشتهرت الصالحية لصناعة السفن [7] ، ويشير عبد اللطيف البغدادي [8] إلى وفرة السفن بقوله " أما سفنهم فكثيرة الأصناف والأشكال " .

وكان لصناعة السفن بمصر أغراض مختلفة سفن نيلية ، وسفن حربية ، فالسفن النيلية ، وهي سفن تجارية تنشأ لحمل الغلال والاخطاب وغيرها ونقل هذه البضائع في النيل صاعدة إلى الصعيد ومنحدرة إلى الدلتا [9] ووصف الرحالة ناصر خسرو كثرة السفن بمراسي تنيس بقوله " وكان يرابط حول تنيس الف سفينة " [10] .

---

(1) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص 175 .
- عاصم محمد رزق عبد الرحمن : مراكز الصناعة في مصر الإسلامية ، ص 107 .
(2) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية ، ص 176 .
(3) سفرنامه : ، ص 61 .
(4) متحف الفن الإسلامي ، سجل رقم 14935 .
(5) متحف الفن الإسلامي ، سجل رقم 12997 .
(6) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 340 .
- جميل خانكى : البحرية المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة 1948، ص 142 .
(7) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 41 .
(8) الافادة ، ص 71 .
(9) المقريزي : الخطط ، جـ2 ، ص 189 .
- ابراهيم احمد العدوي : الاساطيل العربية في البحر المتوسط ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة 1957م ، ص 139 .
(10) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 39 .

وتعد السفن وسيلة المواصلات الوحيدة التي تربط تنيس بالمدن المجاورة كدمياط ودميره ، وشطا وأعجب ابن حوقل الذي طاف كثيرا من البلدان بمهارة ملاحي تنيس إذا تسير السفينتان في البحيرة القريبة منها تحك احداهما الأخرى هذه صاعدة ، وهذه نازلة بريح واحد مملاه شرعها بالرياح ومتساوية في السرعة [1] .

وحفلت بحيرة تنيس بكافة السفن والمراكب العظام [2] ، ومراكب صيد الاسماك بأنواعها [3] المختلفة وبلغت حمولتها من الرجال ما بين ستون واقلها ثلاثة [4] ويسجل لنا ابن ظهيره [5] وصفا رائعا لحركة ملاحة السفن النيلية بقوله " ليس في الدنيا نهر يجري فيه أكثر من نيل مصر ، ويحمل المراكب الواحد منها حمل خمسمائة بعير أو أقل " .

والسفن الحربية وهي سفن الاسطول التي تصنع لصد هجوم العدو وتشحن بالسلاح وألات الحرب والجنود لحماية ثغر الاسكندرية ، ودمياط وتنيس والفرما من هجوم الروم والفرنج [6] واهتم المعز لدين الله بأمر الجهاد فشيد دار لصناعة الاسطول وانشاء المراكب في الاسكندرية ودمياط وكانت الاسكندرية من أهم مراكز صناعة السفن [7] وترجع شهرتها إلى زمن الأمويين ، حيث أصدر معاوية بن أبي سفيان أوامره ببناء السفن الحربية [8] ، وبلغت الاسكندرية أوج مجدها في العصر الفاطمي بسبب ازدياد علاقات الفاطميين بالمغرب والاندلس وصقلية [9] فضلا عن تبعية بلاد الشام لهم واشتهرت بانتاج كافة أنواع السن [10] نذكر منها على سبيل المثال :

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 146 .
(2) اليعقوبي : البلدان ، ص 338 .
(3) لم أجد تفسيراً لأنواع المراكب التي ذكرها ابن بسام في قواميس اللغة ، والكتب المتخصصة ، وهي الجرافات ، الانكبارات ، العينات ، السد والطواحين ، الجراجن ، الباريات ، مراكب الترعة والفلاحين ، مراكب المضارب ، الفرنرس وغيرها . ابن بسام : انيس الجليس ، ص 186 .
(4) ابن بسام : نفس المصدر والصفحة .
(5) الفضائل الباهرة ، ص 136 .
(6) المقريزي : الخطط ، جـ2 ، ص 189 .
(7) نفسه ، ص 193 .
(8) Aly Mohamed Fahmy : Muslim Sea-power P.28
(9) أبراهيم احمد العدوي : الأساطيل العربية ، ص 138 .
(10) من الكتب الحديثة النادرة التي عالجت موضوع السفن المؤلف القيم للدكتور / درويش النخيلي السفن الإسلامية على حروف المعجم جمع فيه كافة أنواع السفن من بطون المصادر ، طبع دار المعارف ، الاسكندرية 1979م .

(1) **الشواني :** جمع شيني أو شونه ، وهي من السفن الحربية الكبيرة[1]، وتجدف بماية واربعين مجدافا وتشحن بالجنود والجدافين [2] ومزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم وتحتوي على أهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن المياه العذبة [3] .

(2) **البطس :** مفردها بطسه وهي من السفن الحربية الكبيرة ، وتستخدم لنقل التجارة ، وكانت حمولتها في العادة ما بين ثلاثمائة إلى سبعمائة مقاتل [4] ، وكانت تستخدم لنقل الأزواد والميرة [5] .

(3) **الحراقة :** والحراقات نوع من السن الحربية [6] ، وكانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الأغريقية وكان بها مرامي نيران يرمي بها العدو [7] .

(4) **الطريدة :** من السفن التي تستعمل لحمل الفرسان والخيول وتسع لاربعين فرسا [8] وهي من سفن النجدة والإغاثة [9] .

(5) **العشاريات :** من المراكب المسطحة بالواح خشب وفوق هذا السطح سقف من الخشب معقود عليه طاقات دوران باب البحر من كافة جهاته وتحتوي على خزانة ومرحاض[10] .

ولقد أشاد القلقشندي [11] باهتمام الفاطميين بالأسطول والقوات البحرية بقوله " أما اهتمامهم بالاسطول وحفظ الثغور واعتناؤهم بأمر الجهاج فكان ذلك من أهم أمورهم وأجل ما وقع الاعتناء به عندهم ، وكانت اساطيلهم مرتبة بجميع بلادهم الساحلية كالاسكندرية

---

(1) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مجلد 4 ، جـ1 ، ص 83 ، حاشية (251) .
- المقريزي : الخطط ، جـ 2 ، ص 194 – 195 .
(2) ابن مماتي : مصدر سابق ، ص 340 .
(3) عبد المنعم ماجد : الحضارة الإسلامية ، ص 74 .
(4) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص 49 ، حاشية (1) .
(5) الاصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق محمد محمود صبيح ، القاهرة 1965، ص 340 .
(6) الاصفهاني : المصدر السابق ، ص 388 .
(7) الفيروز ابادي : القاموس المحيط ، جـ3 ، الطبعة الأولى ، المطبعة الحسينية القاهرة 1330هـ ، ص 220 .
- سعاد ماهر : البحرية الإسلامية ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، ص 339 .
- عطية القوصي : الحضارة الإسلامية ، دار الثقافة العربية ، القاهرة 1985م ، ص76 .
(8) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 339 .
-ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات ، مجلد 4 ، جـ1 ، ص 83 ، حاشية (252) .
(9) عطية القوصي : الحضارة الإسلامية ، ص 76 .
(10) عبد اللطيف البغدادي : الافادة ، ص 66 .
(11) صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 519 .
- صابر محمد دياب : سياسة الدولة الإسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة 1973م ، ص 173 .

ودمياط والسفن التي تستعمل في البحر المتوسط فكانت تصنع على عدة مراحل منها تقطيع الخشب ثم تركه مدة ليجف حتى تظهر الشقوق به واضحة ليمكن ملؤها بالقار أو الشمع المذاب ثم تكسى الألواح من الخارج بطبقة من القار أو الشمع أو من الاثنين معا وكان الشمع يذاب على النار حتى يصير قوامه سائلا ثم يضاف إليه لون ثن تطلى به السفن فيعطيها منظرا جميلا إلى جانب حمايتها من تسرب الماء إلى الخشب ، وأحيانا كان يحل معدن القصدير المذاب محل القار أو الشمع ، إذ يكسى به هيكل [1] السفينة وكان المحتسب يفرض على أصحاب السفن والمراكب إلا يحملوها فوق العادة ، خوف من الغرف وكذلك يمنعهم من السير وقت هبوب الرياح واشتدادها [2] .

واهتم الفاطميون بتوفير الاخشاب اللازمة لصناعة السفن من مناطق الغابات الموجودة بالصعيد من البهنسا والاشمونيين واسيوط وأخميم وقوص ، وفرضت الدولة الفاطمية حراستها على أشجار الغابات " وأن لا يقطع منها إلا ما تدعو الحاجة إليه " [3] وبلغت قيمة العود الواحد منها مائة دينار وفرضت الدولة رقابة شديدة على الاشجار التي تصلح لعمل مراكب الاسطول [4] ولما كان الانتاج المحلي للبلاد من الخشب لم يكفي حاجة دور صناعة السفن عمل الفاطميون على استيراد الاخشاب من اوربا عن طريق التجار البنادقة ، وكثيرا ما تدخل اباطرة الدول البيزنطية لمنع المدن الايطالية من تصدير الاخشاب للدولة الفاطمية بمصر [5] .

سادسا : صناعة طحن الحبوب .

شهدت صناعة طحن الحبوب بالاقليم تقدما ملموسا لحاجة الأهالي لطحن حبوبهم ، فتوفرت في مدينة تنيس الطواحين فبلغت حوالي مائة وستون طاحونة [6] .

ويسجل ابن بسام [7] وصفا ممتعا عن صناعة طحن الحبوب فيقول " وبلغت حاجة أهل تنيس من الحنطة والشعير القطاني في كل سنة مائة الف ارادب ، ووجدنا البيدار

(1) سعاد ماهر : البحرية الإسلامية ، ص 171 .
(2) ابن الاخوة : معالم القربة في أحكام الحسبة ، تحقيق د/ محمد محمود شعبان وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1976م ، ص 324 .
(3) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 345 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 110 .
(4) المقريزي ك الخطط ، جـ1 ، ص 110 – 111 .
(5) صابر دياب : سياسة الدولة الإسلامية ، ص 175 .
- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية ، ص 94 .
(6) ابن بسام : أنيس الجليس ، ص 185 .
(7) انيس الجليس ، ص 188 .

الفارسي يطحن في كل سنة مائة الف ارادب ووجدنا البيدار الفارسي [1] يطحن في كل يوم وليلة ست أرادب وتسعون قدحا وإذا ضربت هذه الاقدار في جميع ما يطحن من الارادب والويبات ، واعطي لكل انسان قدح واحد لقوت يومه كان شحنة البلد خمسين ألفا .

واشتهرت قرية مشتول الطواحين بطحن الدقيق الحواري الذي يرسل لمصر [2] وبلاد الحجاز فكانت تميرها بالدقيق والكعك بكميات كبيرة بلغت حوالي ثلاثة ألاف حمل جمل في كل اسبوع [3] وكان بشبرا الخيمة طواحين وافران [4] .

وكانت هذه الطواحين تدار باستخدام الدواب ويشرف على عملية الطحن ثم النخل عمال المطحن وكان صبيان المطاحن يذهبون إلى المنازل لجمع القمح وإعادته دقيقا إلى أصحابه [5] وكان المحتسب يلزم الطحانين بتنظيف الغلة من التراب وتنقيتها من الطين قبل طحنها ورش الحنطة بالماء عند عملية الطحن ليزداد الدقيق بياضا ويأمرهم بتغيير مناخل الدقيق كل ثلاثة شهور [6] .

وكانت كل طاحونة تحتوي على ميزان من خشب لوزن القمح عند مجيئه وعند تمام عملية الطحن ويوضع على كل قفه صغيرة يكتب عليها اسم صاحبها ووزنه [7] .

سابعاً : صناعة الخمور .

انتشرت صناعة الخمور بالدلتا لتوفير العنب بكثرة في الكريون ودنشال وقرطسا [8] وقرية تروجه تشتهر بالعنب التروجي الذي يتميز بجودته [9] ، وتكثر مزارع الكروم في تنيس [10] .

وأهم مراكز صناعة الخمور بالاقليم مدينة تنيس فيوجد بها مائة معصرة مختلفة الانتاج [11] ومن بينها معاصر الخمر [12] ، وبشكل الأقباط غالبية التركيب الاجتماعي

---

(1) البيادر جمع بيدر وهو المكان الذي تجمع فيه الغلال بعد درسها .
المقريزي : اغاثة الأمة ، ص 21 ، هامش رقم (5) .
(2) ياقوت : معجم البلدان ، جـ5 ، ص 132 .
(3) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 195 .
(4) ابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
(5) ابن الحاج : المدخل ، جـ4 ،ص 165 .
(6) ابن الاخوة : معالم القربة ، ص 152 .
(7) ابن بسام : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، حققه حسام الدين السامرائي ، مطبعة المعارف بغداد 1968م ، ص 59 .
(8) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 132 – 133 .
(9) ابن سعيد : بسط الأرض ، ص 82 .
(10) ابن دقماق : الانتصار ، ص 78 .
(11) ابن بسام : انيس الجليس ، ص 185 .
(12) ابن دقماق : الانتصار ، ص 78 .

لسكان تنيس فغلب على طابعهم الرغبة في مداومة اللذات واستماع الأغاني ومواصلة المسرات [1] ، وكانت شبر أهم مناطق صناعة الخمور الشهيد [2] ، وتأثرت صناعة الخمور بنزعة الحاكم بأمر الله الاصلاحية إذ نهى عن قطع الكروم وبيع الزبيب وأراق خمسة ألاف جرة عنب في النيل خوفا من أن تصنع نبيذا عندما اسرف الناس في الحفلات [3] .

ثامناً : صناعة الحصر .

قامت صناعة الحصر الساماني والعبداني في الحوف الشرقي [4] ، وفي دمياط صنعت الحصر من سيقان البردي ويبدو أن هذه الصناعة كانت مرتفعة التكاليف في العصور الوسطى [5] ، وتعد صناعة الحصر من الصناعات التي انتشرت في كافة الاقليم ، اعتمادا على خامات البيئة من نباتات المستنقعات من البردي والسمار [6] إلى جانب سعف النخيل والحلفا [7] وتعتبر الحصر من أهم اثاث المنزل لاستخدامها في الأغراض المختلفة [8] فضلا عن فرشها للصلاة في المسجد وتزخر أوراق البردي بذكر قوائم بأشياء مباعة ففي بردية ترجع إلى القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، قائمة بأشياء مباعة " على أبي ببا ثمن الحصر للصلاة على بن الزيات ثمن حصر للصلاة " [9] والنمط السائد في صناعة الحصر تقوم على الطريقة البدائية باستخدام الأيدي وتعتمد على مهارة العامل وخبرته وتعرف هذه الطريقة باسم النسيج المزدوج ، أو الضفر المزدوج وتتم هذه العملية بوضع خيط من البوص أو الحلفا أو مجموعة منها ثم تشبك ببعضها بخيطين من القش المجدول[10] .

تاسعاً : صناعة ورق البردي .

كانت صناعة ورق البردي من أهم الصناعات القديمة التي ترجع إلى عهد الفراعنة ، فقامت على نبات البردي الذي ينمو في مستنقات الدلتا [11] ، وازدهرت تلك الصناعة في العصر الإسلامي فكانت تعد من فضائل مصر وتمتعت بشهرة عالمية [12] يؤكد ذلك بن

---

(1) ابن بسام : انيس الجليس ، ص 188 – 189 .
(2) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 69 .
(3) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ5 ، ص 177 .
(4) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 54 .
(5) جروهمان : أوراق البردي ، جـ6 ، ص 111 .
(6) سعاد ماهر : الحصير في العصر الإسلامي ، القاهرة ، ص 26 .
(7) سعد الخادم ك الصناعات الشعبية في مصر ، القاهرة 1957م ، ص 26 .
- محمد محمود علي أبو زيد : الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الريف المصري ، رسالة دكتوراه ، كلية
بنات عين شمس 1988 م ، ص 208 .
(8) محمد محمود علي : المرجع السابق ، ص 208 .
(9) جورهمان : أوراق البردي ، جـ6 ، ص 97 .
(10) سعاد ماهر : المرجع السابق ، ص 27 .
(11) سيدة كاشف : مصر في عصر الولاة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 161 .
(12) الكندي : فضائل مصر ، ص 69 .

الفقيه بقوله " ولهم القراطيس لا يشاركهم فيها أحد " ويذكر السيوطي [1] " وفيها القراطيس وليس شيء في الدنيا إلا مصر " [2] ومن المعروف أن القرطاس صنع من أوراق البردي [3] ومن أهم مراكز صناعة البردي بالدلتا بورة يصنع بها القراطيس [4] ودقهلة كانت يصنع بها القرطاس الطومار الذي يرسل منها إلى كافة بلاد العالم [5] وشاركت مدينة رشيد بسهم وافر في صناعة القراطيس [6] .

وفقدت صناعة البردي أهميتها في مستهل القرن الرابع الهجري لظهور نوع من أنواع الورق يعرف بالكاغد في سمرقند وبلاد الصين يقول الثعالبي [7] " إن كواغيد سمراقند عطلت قراطيس مصر " .

والواقع أن ورق البردي المؤرخ الذي وصل إلينا وصل إلينا ينتهي في عام 323 هـ/ 934 – 935 م على حين أن الوثائق المكتوبة على الكاغد يبدأ تاريخها منذ عام 300هـ/ 912-913 م [8] .

عاشراً : العمائر والتحف :

اشتغل بعض أهالي الدلتا ، بالكتابة على العمائر والتحف وانتشرت الكتابة بالخط الكوفي على اللوحات التذكارية التي تؤرخ لاقامة أثر أو تشير غلى تاسيسه وهي منقورة على لوحات من الرخام كاللوحة التذكارية بتجديد جامع العطارين من أقدم مساجد الاسكندرية في عام 447 هـ/ 1084 – 1065 م على يد أمير الجيوش بدر الجمالي عند نزوله بثغر الاسكندرية لاخماد الفتن والاضطرابات في عهد المستنصر بالله ، واللوحة

(1) البلدان ، ص 66 .
(2) حسن المحاضرة ، جـ3 ، القاهرة 1299 هـ ، ص 230 .
(3) ابن النديم : الفهرست ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ص 37 .
(4) اليعقوبي : البلدان ، ص 338 .
- محمد طه الحاجري : الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 13 لسنة 1966 م ، ص 73 .
(5) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص 56 – 57 .
- مجهول : المفاضلة بين مصر والشام (مخطوط) ورقة 24 .
- علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ11 ، ص 17 .
(6) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 343 .
- اليعقوبي : البلدان ، ص 338 .
(7) لطائف المعارف ، ص 161 .
(8) سيدة كائف : مصر في عصر الولاة ، ص 162 .
- بدر عبد الرحمن محمد : النشاط التجاري في مصر في العصر الفاطمي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة 1977 م ، ص 23 .

مثبتة الان في قاعدة المنارة على يسار الداخل من الباب البحري الشرقي ونصها " بسم الله الرحمن الرحيم " إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخشى إلا الله"[1] مما أمر بإنشائه السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادي دعاه المؤمنين أبو النجم بدر المستنصري عند حلول ركابه بثغر الاسكندرية ومشاهدته هذا الجامع خرابا فرأى بحسن ولائه ودينه وتجديده زلفا إلى الله تعالى وذلك في ربيع سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

كما توجد اللوحة التأسيسية لمسجد العمري بمدينة المحلة الكبرى مثبتة بجوار المحراب بالخط الكوفي المزهر الذي كان سائدا في العصر الفاطمي ونصها الآتي " بسم الله الرحمن الرحيم إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر " إلى المهتدين مما أمر بعمله السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاه المسلمين وهادي دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وامتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وانفذ في البسيطة أوامره واحكامه على يد عبد ه ومملوكه القاضي ابن الفتح المسلم بن علي بن الحسن الرصعني متولي الحكم الشريف بمدينة المحلة من أعمال الغربية في المحرم سنة ثمان وخمسمائة " [2] وكذلك توجد لوحة رخامية مثبتة فوق الأولى مقاسها (60 ×60سم) نقش عليها بالخط الكوفي المزهر آيات من القرآن الكريم وبعض أسماء والقاب الائمة الشيعة الاسماعيلية [3] .

وهناك نقش باسم الأمر باحكام الله بتاريخ 521هـ/1127م بمسجد سيدي عبد الله الشريف بدمياط لقب الإمام العصر والزمان ولهذا اللقب علاقة بالعقيدة الفاطمية القائلة بأنه لا يخلو زمن من إمام علوي يطلق عليه لقب " إمام العصر " [4] .

(1) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ2 ، ص 46 حاشية (189) .
(2) سعاد ماهر : مساجد مصر وأولياءه الصالحون ، جـ2 ، القاهرة 1973م ، ص 112 .
(3) سعاد ماهر : المرجا السابق ، ص 112 .
(4) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة 1957م ، ص 177 .

الفصل الرابع
التجـــــــــارة

أولاً : عوامل نشأة مراكز التجارة الداخلية .

نشطت حركة التجارة الداخلية بالدلتا ، وترتب على ذلك ظهور مدن في كافة انحاء الاقليم كمراكز للتجارة الداخلية ، وسنذكرها حسب التقسيم الجغرافي التالي :

(1) مدن شرق الدلتا .
(2) مدن وسط الدلتا .
(3) مدن غرب الدلتا .

وتكاتفت عوامل عديدة لظهور تلك المدن دون غيرها . وبالنسبة لمدن شرق الدلتا ظهرت بلبيس كمركز تجاري هام بفضل موقعها على طريق التجارة الذي يربط مصر ببلاد الشام ، فكانت محط للدرب الشامي [1] ، حيث يستريح بها التجار النازحين إلى بلاد الشام بتجارتهم بعض الوقت ويأخذون منها ما يحتاجون إليه ، مما أدى لظهور منشآت تجارية جديدة تلبي احتياجات التجار كالفنادق [2] والخانات والأسواق [3] .

كما أنه ليس غريبا أن يطلق عليها الدمشقي [4] " باب الشام " باعتبارها أهم مدينة في نهاية حدود مصر تواجه التجار في طريقهم إلى بلاد الشام حيث ينزل التجار بعدها في منطقة الرمال الممتدة بين مصر وبلاد الشام.

كما هيأ موقع مدينة قليوب كمركز تجاري داخلي بشرق الدلتا حيث تقع في وسط منطقة زراعية تشتهر بالفواكه [5] والبساتين [6] بالقرب من القاهرة ، فكانت تميزها بالفواكه والألبان [7] .

أما في وسط الدلتا فظهرت مدينة المحلة الكبرى كمركز تجاري داخلي بفضل موقعها في وسط منطقة زراعية تشتهر بزراعة الكتان وعصر الزيت [8] وعلى الطريق التجاري الذي يمر بوسط الدلتا والذي يبدأ من القلعة إلى قليوب ومنوف ثم إلى المحلة [9] .

---

(1) القلقشندي ك صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 401 .
(2) ابن دقماق : الانتصار ، ص 51 ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 401 .
(3) الوطواط : مباهد الفكر ، ص 108 .
(4) نخبة الدهر ، ص 231 .
(5) ابن دقماق : الانتصار ، ص 48 .
(6) نفسه ، ص 47 .
(7) نفسه ، ص 47 .
(8) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 195 .
(9) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 376 .

كما ظهرت ابيار كمركز تجاري بوسط الدلتا بفضل شهرتها في صناعة القماش الإبياري [1] .

ومن أهم مراكز التجارة الداخلية بغرب الدلتا مدينة دمنهور لوقوعها على طريق التجارة الداخلي لغرب الدلتا [2] فضلا عن شهرتها بصناعة الثياب الدمنهورية [3] .

وسنذكر بالتفصيل كل مركز على حدة حسب أهميته التجارية :

(1) مراكز التجارة الداخلية بشرق الدلتا :

أ- بلبيس :

كانت مدينة بلبيس قصبة الحوف الشرقي [4] من أهم مراكز التجارة الداخلية لوقوعها على الطريق التجاري بين مصر وبلاد الشام وفيها محط الدرب الشامي [5] وتزخر بالأسواق العامرة والخانات [6] والفنادق ونالت اعجاب القرماني [7] فقال " بلبيس مدينة قديمة بمصر كثيرة الخيرات عظيمة البركات " وتشتهر بوفرة المحاصيل الزراعية كالنخيل [8] والبساتين والفواكه [9] وعند بلبيس تنتهي معاملة التجار بالفضة السوداء فيتعاملون بالفلوس حتى العريش [10] .

ب- قليوب :

ظهرت مدينة قليوب كمركز تجاري داخلي هام بالقرب من القاهرة حيث تقع شرقي النيل [11] فتشتهر بالفواكه [12] ويمر بها خليج السردوسي الذي تلتف حوله البساتين والاشجار [13] ، وتزخر قليوب بالأسواق الجميلة [14] كسوق [15] العطر وهي بلد وفيرة الخيرات فتمير أهل مصر بالألبان .

---

(1) ابن دقماق : المصدر السابق ، ص 99 .
(2) القلقشندي : المصدر السابق ، ص 376 .
(3) ياقوت : المشترك ، ص 182 .
- ابو الفداء : البلدان ، ص 106 .
(4) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 193 ، ابو الفداء ، البلدان ، ص 119 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 51 ، الخالدي : المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 85 .
(5) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 401 .
(6) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 108 .
(7) ابن دقماق : الانتصار ، ص 51 ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 401 .
(8) أخبار الدول ، ص 432 .
(9) ابو الفداء : البلدان ، ص 119 ، ابن دقماق : الانتصار ، ص 51 .
(10) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 183 .
(11) العمري : مسالك الأبصار ، جـ1 ، ص 99 .
(12) ابن دقماق : الانتصار ، ص 48 .
(13) ابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
(14) ابن جبير : الرحلة ، ص 47 .
(15) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 105 .

جـ- أشموم طناح :

ساهمت مدينة اشموم طناح الرمان في النشاط التجاري الداخلي بالدلتا لموقعها على فرع النيل الشرقي [1] وعلى مقربة من أهم مراكز صناعة النسيج في دمياط وتنيس [2] وتشتهر بالأسواق والحمامات والفنادق[3] .

د- دقهلة :

شاركت في النشاط التجاري فهي تقع على فرع النيل الشرقي ، فينسب إليها عمل الدقهلية [4] ، وتحفل بالأسواق [5] .

(2) مراكز التجارة الداخلية بوسط الدلتا :

أ- المحلة [6] :

تعتبر مدينة المحلة الكبرى من اعظم مراكز التجارة الداخلية فهي قصبة اقليم الغربية [7] ، وتحفل بالأسواق العامرة ، يقول الإدريسي [8] " وهي مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة وتجارات قائمة وخيرات شاملة " .

كما امتدحها القلقشندي [9] بقوله " مدينة عظيمة الشأن جليلة المقدار حسنة كثيرة المساكن ذات جوامع ومدارس وأسواق وحمامات " .

وأشار إليها ابن بطوطة [10] قائلا " وهي جليلة المقدار حسنة الأثار كثير أهلها جامع بالمحاسن شملها " .

---

(1) ابو الفداء : البلدان ، ص 119 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 402 .
(2) ياقوت : المشترك ، ص 25 .
- البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ1 ، ص 84 .
(3) ابو الفداء : البلدان ، ص 119 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 68 .
(4) ياقوت : معجم البلدان ، جـ1 ، ص 459 .
(5) نفسه ، ص 459 .
(6) يوجد بمصر عدة مدن تعرف باسم المحلة منها محلة دقلاه وهي اشهرها وأكبرها محلة شرقيون وهي المحلة الكبرى وهي ذات جانبان أحدهما سندفا والأخر شرقيون ومحلة منوف . انظر :
ياقوت : معجم البلدان ، جـ5 ، ص 63 .
(7) ابو الفداء : البلدان ، ص 117 ، ياقوت : المشترك ، ص 386 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 82 ، ابن سعيد : بسط الأرض ، ص 82 .
(8) نزهة المشتاق ، ص 340 .
(9) صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 406 .
(10) مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 22 .

وكانت تحفل بكافة المنشآت التجارية كالفنادق والحمامات والقياسر[1] ويغلب على اسواقها التخصص كسوق الزيت وكانت المحلة من أكبر مراكز الصناعة بوسط الدلتا [2] وبلغت شهرة المحلة في النشاط مبلغا عظيما فلقد شبهها المقدسي بمدينة واسط ببلاد العرق [3] وتشتهر المحلة بالبساتين والفواكه [4] .

ب- ابيار :

تعد أبيار من أهم المراكز التجارية بوسط الدلتا وقامت شهرتها في مجال التجارة الداخلية على صناعة المنسوجات فالقماش الابياري يفوق القماش الاشكندراني والإبراد الغربية حيث يباع في أسواقها البرد والكتان بما يزيد عن مائة درهم [5] ، ويصنع بها القماش الفائق من المحرارت وغيرها [6] ، وكانت منسوجاتها تصدر إلى بلاد العراق والشام [7] وكانت تزخر بالأسواق والحمامات والخانات [8] وكان يوجد على خليج آبيار قيسارية للبز [9] .

(3) مراكز التجارة الداخلية بغرب الدلتا :

أ- دمنهور :

من مراكز التجارة الداخلية بالحوف الغربي وهي قصبة اقليم البحيرة [10] ومما يدل على رواج النشاط التجاري بها كثرة الأسواق [11] والمنشآت التجارية كالفنادق [12] ، والحمامات [13] والقياسر [14] وكانت تشتهر بصناعة الثياب الدمنهورية [15] ومما يدل على

---

(1) Goitein : Mediterranean trade in the eleventh century P.52

(2) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 123 .

(3) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 196 .

(4) الوطواط ك مباهج الفكر ، ص 123 .

(5) ابن دقماق : الانتصار ، ص 99 .

(6) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 406 .

(7) ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطة ، جـ1 ، ص 21 .

(8) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 405 .

(9) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 112 .

(10) ياقوت : المشترك ، ص 182 . ابو الفداء : البلدان ، ص 106 .
- ابن سعيد ، بسط الأرض ، ص 82 ، الدمشقي : نخبة الدهر ، ص 231 .
- السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 16 .
- دائرة المعارف الإسلامية (مادة دمنهور) .

(11) ياقوت : المشترك ، ص 182 .

(12) ياقوت : المشترك ، ص 182 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 101 .

(13) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 402 .

(14) ابن دقماق : الانتصار ، ص 101 .

(15) ياقوت : المشترك ، ص 182 . =

أهمية دمنهور في النشاط التجاري موقعها في قلب بقعة زراعية منخفضة تمتد من الاسكندرية إلى مصر تغمرها مياه النيل[1] وشهدت مدينة دمنهور وفود هجرات القبائل العربية فيغلب عليها الطابع البدوي[2].

ب- فوه :

ساهمت مدينة فوه في النشاط التجاري بفضل موقعها على شاطئ النيل مما جعلها على حد قول القرماني [3] " من أعظم المداين " وهي بالقرب من رشيد تشتهر بالأسواق وزراعة النخيل [4] وتنتشر البساتين على النيل وغالب شجرها الموز [5] ونالت اعجاب ابن بطوطه [6] بقوله " عجيبة المنظر حسنة المظهر بيها البساتين " .

ثانياً : الأسواق :

ساعدت الأسواق التي كانت تقام في الدلتا على رواج حركة التجارة الداخلية إذ تتم فيها عملية البيع والشراء في السلع التي يحتاج إليها الناس وانتشرت الأسواق على ضفتي نهر النيل من الاسكندرية إلى أسوان وقد شاهد ابن بطوطه [7] النشاط التجاري لتلك الأسواق فوصفها بقوله " لم يكن المسافر في النهر يحتاج إلى أن يأخذ معه طعاما أو غيره لأنه مهما أراد النزول للشاطئ سيجد سوقا يشتري منه ما يريد والأسواق متصلة من مدينة الاسكندرية إلى مصر ومن مصر إلى أسوان ط واشتهرت مدينة تنيس بالأسواق الفخمة وبلغ عدد الدكاكين عشرة آلاف دكان منها حوالي مائة دكان للعطر [8] ، كما امتدح المقدسي [9] أسواق تنيس بقوله " يوجد بتنيس أسواق ظريفة وأسماك رخيصة وبلد مقصود ونعم ظاهرة " وكان يباع في أسواق تنيس الكشكاب [10] في فصل الصيف[11] .

= - ابو الفداء : البلدان ، ص 106 .

(1) ابن جبير : رحلته ، ص 47 .

(2) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 130 .

(3) أخبار الدول ، ص 468 .

(4) ياقوت : معجم البلدان ، جـ4 ، ص 280 .
- البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ3 ، ص 347 .

(5) الدمشقي : نخبة الدهر ، ص 230 .

(6) مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 20 .

(7) نفسه ، ص 25 .

(8) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .

(9) احسن التقاسيم ، ص 201 .

(10) الكشكاب صنفان صنف منعش غير مسكر يشبه ما يسمى في تركيا إيران وهو يشرب في إيران ويتكون من اللبن الزبادي المضروب مع الماء وصنف آخر مسكر يتكون من " السوبيا " المخمرة مضافا إليه بعض العناصر الأخرى ويسمى هذا الصنف الفقاع .
ناصر خسرو ك سفر نامه ، ص 38 ، حاشية (1) .

(11) نفسه ، ص 38 .

وكان يباع بتنيس البز ومختلف أنواع الثياب [1] ، ويرجع ذلك للتقدم الهائل الذي حققته تنيس في إنتاج الثياب من الدبيقي والشرب والمصبغات من الحلل التنسية التي ليس في جميع الأرض ما يدانيها في الحسن والقيمة [2] وكان يباع بأسواق المدينة البوقلمون الذي لا ينسج في مكان آخر في العالم [3] واشتهرت تنيس بانتاج الآلات الحديدية كالمقارض والسكاكين التي تباع في أسواق القاهرة [4] وتميزت أسواق الاسكندرية بسعتها [5] ، وتعد المنسوجات أهم السلع المعروضة بأسواق الاسكندرية يقول المقريزي [6] " الثياب المنسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمل إلى آفاق الأرض وما يباع فيها من ثياب الشرب كل زنه درهم بدرهم فضة". وكان يعرض بأسواق الاسكندرية الزيتون [7] والأسماك والفاكهة [8] ، كما اشتهرت مدينة دمياط بأسواقها الكبيرة [9] وأضفى عليها موقعها عند مصب النيل في البحر المتوسط مكانة عظيمة [10] واشتهرت بصناعة النسيج فبلغ ثمن الثوب الأبيض بدمياط بدون ذهب ثلاثمائة دينار [11] كما اشتهرت بزراعة اشجار الموز بكثرة وكان يحمل من أسواقها إلى كافة البلاد [12] ، ومما يدل على نشاط حركة التجارة الداخلية بدمياط أن أقامت بها طائفة كبيرة من التجار الأثرياء اصحاب الأموال [13] وأهم مراكز صناعة الحرير وتسويقه فكانت في مدينة دبيق وبلغ من جودته أن نسب إليها فسمى الحرير الدبيقي[14] وتميزت قرية البشمور من أعمال دمياط بانتاج نوع من القمح يصفه اليعقوبي بالقمح اليوسفي المجزع [15] ، وبأنواع ممتازة من الكباش [16] واشتهرت مدينة شطا بنوع من الثياب عرف بالشروب الشطوية [17] ، وحفلت مدينة المحلة

(1) ابن بسام : انيس الجليس ، ص 184 .
(2) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 143 ، والإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 338 .
(3) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .
(4) نفسه ، ص 40 .
(5) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 319 .
(6) الخطط ، جـ1 ، ص 163 .
(7) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 197 .
(8) ناصر خسرو : صفر نامه ، ص 43 .
(9) ابو الفداء : البلدان ، ص 117 ، ابن دقماق : الانتصار ، ص 81 .
القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 402 .
(10) القلقشندي : المصدر السابق والصفحة .
(11) ياقوت : معجم البلدان ، جـ2 ، ص 473 .
(12) ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 23 .
(13) ابن دقماق : الانتصار ، ص 81 .
(14) اليعقوبي : البلدان ، ص 337 .
(15) اليعقوبي : البلدان ، ص 332 .
(16) ياقوت : معجم البلدان ، جـ1 ، ص 428 ، القرماني : أخبار الدول ، ص 432.
- القزويني : أثار البلاد ، ص 155 .
(17) اليعقوبي : البدان ، ص 338 ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 242 .

بالأسواق [1] يقول الإدريسي [2] " المحلة مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة وتجارات قائمة وخيرات شاملة " وكانت بالمحلة أسواق متخصصة لعرض سلع بعينها فكان يوجد سوق للزيت ومما يدل على انتعاش حركة التجارة أن شبهها المقدسي بمدينة واسط ببلاد العراق [3] وازدهرا اسواق مدينة رشيد [4] وزخرت أسواقها بحشد كبير من الصناع والتجار [5] وكان يصنع برشيد الورق [6] .

وانتعشت حركة التبادل التجاري في أسواق [7] دمنهور وكانت يباع فيها الثياب الدمنهورية [8] وزخرت مدينة قليوب بالأسواق العامرة حيث وجدت بها أسواق متخصصة كسوق العطر [9] وأشاد ابن جبير [10] بأسواق قليوب بقوله " فيه الأسواق الجميلة " كما اشتهرت أسواق ابيار بعرض القماش الابياري الذي يفوق في جودته القماش الاسكندراني وكان يباع بها الأبراد الغربية ثمن الواحد مائة درهم [11] .

وحفلت مدينة بلبيس قصبة الحوف الشرقي [12] بالأسواق العامرة [13] وعرف الاقليم نوعان من الأسواق أسواق دورية وأسواق متخصصة فالأسواق الدورية كانت تعقد في يوم معلوم من كل اسبوع فكان بمدينة الأمراء سوق يعقد يوم الأحد [14] وفي طنتنا سوق يعقد يوم الجمعة [15] ، وفي دقدقوس سوق يوم الأربعاء [16] وفي دسيس سوق يوم السبت يقصده التجار حيث تتم عملية بيع وشراء أجود الثياب [17] .

أما بالنسبة للنوع الثاني الأسواق المتخصصة التي تعرض أنواعها معينة من السلع فإن بالمحلة سوق للزيت [18] وبقليوب سوق للعطر [19] وبتنيس أسواق للملابس [20] ومن أهم

---

(1) ياقوت : معجم البلدان ، جـ5 ، ص 63 .
(2) نزهة المشتاق ، ص 340 .
(3) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 196 .
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 132 .
(5) جان ليون : وصف أفريقيا ، ص 57 .
(6) الأدريسي : نزهة المشتاق ، ص 343 .
(7) ياقوت : المشترك ، ص 182 .
(8) ياقوت : المشترك ، ص 182 ، ابو الفداء ، ص 106 .
(9) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 105 .
(10) الرحلة ، ص 47 .
(11) ابن دقماق : الانتصار ن ص 99 .
(12) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 193 ، ابو الفداء : البلدان ، ص 119 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 51 ، الخالدي المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 85 .
(13) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 108 .
(14) ابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
(15) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 133 .
(16) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 334 .
(17) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 334 .
(18) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 196 .
(19) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 105 .
(20) ابن بسام : انيس الجليس ، ص184 .

الأسواق التي انتشرت بالحوف الشرقي في رفح [1] والفرما [2] وأتريب [3] ومنية غمر التي حفلت بالمتاجر ونشطت بحركة دخول وخروج التجار [4] وأشموم طناح [5] ودقهلة [6] والعلاقمة [7] والواردة [8] .

وكان سوق فوه من أهم اسواق الحوف الغربي [9] كما انتشرت الأسواق في بطن الريف في جزيرة نسترو [10] وسنباط التي يعرض في أسواقها القماش السنباطي من الغزل الذي لا نظير له [11] وكانت أسواقها عامرة بالتجارة [12] ومدينة التحريرية كانت بها أسواق وتجار مياسر [13] ولقد انتشرت الأسواق والحمامات في سخا [14] ومنوف [15] .

أما عن طرق البيع والشراء التي كانت تتم داخل هذه الأسواق فيحدثنا ابن الأخوه [16] أنه " كانت لهم طرق عجيبة في البيع والشراء فمنهم من يقول للتاجر بحقك هذا الثوب على تبعني ثوبك أو من يقول بعتك هذا الثوب بعشرة نقدا أو بعشرين نسيئة ومنهم من يبيع السلعة إلى أجل مجهول أو على موسم معين مثل قدوم الحاج أو راس السنة " .

ومن الوسائل التي كان يتبعها التجار أنه إذا دخل المشتري السوق أو مر على دكان فإن من التجار من يناديه ويغريه ببضاعته بينما يكون واقفا أمام دكان آخر [17] ويقول ابن الحاج أن المساومة والمرابحة هما الوسيلتان المتبعتان بين البائع والمشتري [18] حيث يضع أحدهما يمينه في يمين الأخر فإذا قال البائع : بعت وقال الشاري اشتريت ترك كل يد صاحبه وتم البيع والشراء [19] .

---

(1) البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ 1 ، ص 623 .
(2) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 195 .
(3) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 333 .
(4) الإدريسي : المصدر السابق ، ص 334 .
(5) أبو الفداء : البلدان ، ص 118 – 119 .
(6) ياقوت : معجم البلدان ، جـ 1 ، ص 459 .
(7) ياقوت : المصدر السابق ، جـ4 ، ص 145 .
(8) ياقوت : المصدر السابق ، جـ 4 ، ص 369 .
(9) نفسه، جـ4 ، ص 280 ، والبغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ3 ، ص 147 .
(10) نفسه ، جـ4 ، ص 284، والبغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ3 ، ص 147 .
(11) ابن دقماق : الانتصار ، ص 92 .
(12) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 335 .
(13) ابن دقماق : الانتصار ، ص 86 .
(14) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 .
(15) ابن حوقل : السابق ، ص 131 .
(16) معالم القربة ، ص 213 .
(17) ابن الحاج : المدخل ، جـ1 ، ص 49 .
(18) ابن الحاج : المدخل ، جـ 3 ، ص 51 .
(19) أدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ2 ، ص 328 .

واهتمت الدولة بالإشراف على الأسواق حرصا على مصلحة الرعية فكان الوالي ينظر في الأسواق ويسند تلك المهمة إلى المقربين منه لمتابعة الأسواق لمنع الغش ، وتحري الدقة في سلامة الصنج والموازين والمكيال ويحرم من مزاولة مهنة التجارة من يحاول التلاعب في الموازين [1] وكان يراقب الأسعار بداخل السوق [2] واهتم المحتسب بالمحافظة على النظام بداخل السوق فكان يأمر أصحاب الطرقات الضيقة بعدم الجلوس عليها ويحذرهم من بناء المصاطب أمام الدكاكين [3] .

ثالثاً : السلع والأسعار :

من الثابت أن مسألة الأسعار بالاقليم لم تخضع لقاعدة ثابتة فأثر موقع المدن على طبيعة السعر ، وتميزت مدن المنطقة برخص أسعارها، يقول العمري [4] عن مدينة الاسكندرية " أسعارها أقرب إلى الرخاء " ولوقوع الاسكندرية في منطقة زراعية اشتهرت بكثرة الفواكه التي تميزت برخص أسعارها [5] ويعدد المقريزي [6] أنواع السلع وأسعارها في مدينة الاسكندرية وتروجة بقوله " كل قدح من القمح بحوالي أربعين درهما والشعير بثلاثين درهم اوالرطل من الخبز من عشرة دراهم ورطل لحم الطأن ستين درهما فلوسا والطائر المتوسط من الدجاج ببضعة وخمسين درهما فلوسا والبيضة الواحدة من الدجاج بدرهمين فلوسا والأوقية من الزيت باربعة دراهم فلوسا " .

كما برزت أهمية الاسكندرية في تحديد الأسعار العالمية يقول أدم متز [7] " بأن مدينة الاسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران الأسعار العالمية في ذلك العصر في البضائع الكمالية على الأقل " .

وتختلف الأسعار من مكان إلى آخر فبلغ سعر الفول في الغربية والشرقية عشرة دراهم للأردب وفي الصعيد الأعلى بأربعين درهما [8] وكانت مدينة قليوب تشتهر بكافة

(1) يحيى بن عمران : النظم والاحكام في جميع الأسواق ، تونس 1975م ، ص 31 – 33 .
(2) يحيى بن عمران : النظم والاحكام ، ص 103 .
(3) الشيزري : نهاية الرقبة ، ص 11 .
- ابن الأخوة : معالم القربة ، ص 135 .
(4) مسالك الأبصار ، ص 93 .
(5) العمري : مسالك الأبصار ، ص 90 .
(6) أغاثة الأمة ، ص 78 .
(7) الحضارة الإسلامية ، جـ2 ، ص 312 .
(8) النابلسي : لمع القوانين المضيئة ، ص 47 .

أنواع الفواكه الرخيصة [1] ولوفرة الأسماك في بحيرة تنيس انخفضت اسعارها [2] ، واشتهرت مدينة سمنود برخص أسعارها [3] .

وكانت المصنوعات الحديدية كالمقارض والسكاكين تباع بمدينة تنيس الواحدة حوالي خمسة دنانير مغربية [4] .

وشهدت أسعار المنسوجات بمنطقة شرق الدلتا ارتفاعا باهظا فبلغ ثمن العمائم الشرب المذهبة في دبيق الواحدة ثمنها خمسمائة دينار [5] والثوب الأبيض بدمياط الخالي من الذهب ثلاثمائة دينار وسجلت منسوجات دمياط ارتفاعا ملحوظا فلقد بيعت حلتان دمياطيتان في سنة 398 هـ/ 1007 م بثلاثة آلاف دينار [6] .

ولا تقل منسوجات مدينة تنيس في ارتفاع أسعارها عن دمياط فبلغ سعر القميص المعروف بالبدنة والمصنوع بتنيس حوالي ألف دينار [7] وبلغ ثمن الثوب المذهب ألف دينار [8] وسعر العمامة التي تنسج لسلطان مصر حوالي خمسمائة دينار ذهبا [9] .

ومن الجدير بالإشارة أن لأسعار باسواق الدلتا شهدت ارتفاعا باهظا في الأسعار في عصر المستنصر بالله عندما قلت الاقوات وعم القحط انحاء البلاد نتيجة للفوضى السياسية التي شهدتها البلاد فعلى سبيل المثال – لا الحصر – ندر وجود الخبز واشتد الطلب عليه وبلغ سعر الرغيف اربعة عشر دينارا وقيل أربعة عشر درهما [10] .

وفيما يتعلق بدور المحتسب على الأسواق لم يكن بوسعه تسعير البضائع على اربابها ولا احبارهم على التزام سعر معروف [11] وفي هذا الصدد يقول ابن تيمية [12] " وحاجة المسلمين إلى الطعام واللباس وغير ذلك من مصلحة ليس الحق فيها واحد بعينه فتقدير الثمن فيها ثمن المثل على من وجب عليه البيع أولى من تقديره لتكميل الحرية وهنا عموم

(1) ابن دقماق : الانتصار ، ص 47 .
(2) المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 201 .
(3) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 336 .
(4) ناصر خسرو : سفر نامه ،ص 40 .
(5) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 226 ، ابن ظافر : أخبار الدول ، ص 35 .
(6) ابو السرور : قطاف الأزهار (مخطوط) ورقة 33 .
-ياقوت : معجم البلدان ، جـ2 ، ص 473 ، ابن ظهيرة : الفضائل ، ص 53.
(7) المراكشي : الاستبصار ، ص 87 ، والحميري : الروض المعطار ، ص 137 .
(8) المقدسي : أحسم التقاسيم ، ص 201 .
(9) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .
(10) ابن ميسر : اخبار مصر ، جـ2 ، ص 58 ، والمقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 337 .
(11) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص 52 .
(12) الحسبة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، تحقيق صلاح عزام ، مكتبة الشعب ، القاهرة 1976م ، ص 47 .

الناس عليهم الطعام والثياب لانفسهم فلو مكن من يحتاج إلى سلعته أن لا يبيع إلا بما شاء لكن ضرر الناس أعظم " .

رابعاً : الموازين والمكاييل :

الموازين والمكاييل كانتا من وسائل التعامل التجاري في الدلتا في اسواق المدينة والقرية على حد سواء وكان الناس يتعاملون بالقنطار [1] والأوقية [2] والرطل [3] والمثقال [4] والدرهم [5] والويبة [6] ولأهمية المكاييل جاء ذكرها في محكم كتابه ، قال تعالى : " ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون إلا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم " [7] .

وفي عصر النبوه ساد استعمال الموازين والمكاييل ففي حديث أورده النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال " المكيال مكيال أهل المدينة والوزن وزن أهل مكة " [8] .

والرطل [9] من المكاييل الشائعة الاستعمال في مدن الاقليم ويختلف مقداره من مكان لآخر فكان رطل مدينة المحلة رطلان وثلث رطل مصري ورطل ثغر دمياط رطلان وربع ونصف أوقية مصري والبلبيسي رطل وربع مصري مائة وثمانون درهما ومنيه سمنود رطلان وسدس مصري [10] والرطل الاسكندري يسمى الجروى وهو رطلان واوقيتان بالمصري واردبها ثمان ويبات باردب وثلث بالمصري [11] ورطل مصر مائة واربعون درهما وأوقيتها اثنا عشر درهما والمن مائتا درهم وستون درهما [12] .

واستخدم القدح في عملية كيل الحبوب ويختلف من مكان إلى آخر واستخدامه الفلاح المصري في حاضره البلاد بمدينة القاهرة يقول القلقشندي [13] " واعلم أن بمصر أقداحا مختلفة المقادير أيضا كالأرطال ولكل ناحية منها قدح بخصوص بحسب أردبها والمستعمل

---

(1) القنطار يعادل مائة رطل . انظر القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 441.
(2) الأوقية عشر دراهم .
(3) الرطل مائة أربعة واربعون درهما ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 441 .
(4) المثال أربعة وعشرين قيراطا ، القلقشندي : المصدر السابق ،ص 436 .
(5) الدرهم يقدر بستة عشر حبة الخروب ، القلقشندي : المصدر السابق ، ص 439.
(6) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص 138 ، الويبة خمسة عشر منا والأردب ستة ويبات . انظر المقدسي : احسن التقاسيم ، ص 204 .
(7) سورة المطففين : الآيات (1 – 5) .
(8) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص 146 .
(9) الرطل جمعها أرطال : ابن منظور : لسان العرب ، جـ3 ، ص 1665 .
(10) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص 140 .
(11) العمري : مسالك الأبصار ، ص 93 .
(12) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص 16 .
(13) صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 441

منها بالحاضرة الفلاح المصري وهو صغير الحجم وزنه مائتان واثنان وثلاثون درهما وكل ستة عشر قدحا تسمى ويبة وكل ستة وتسعين قدحا تسمى أردبا " .

واستخدمت الموازين في عمليات بيع الفواكه بالاقليم فكان البطيخ يباع بالميزان [1] وكانت عمليات كيل الحبوب تختلف من مكان لأخر بمصر ، فالأردب ست ويبات والويبة أربعة أرباع الربع أربعة أقداح القدح مائتا واثنان وثلاثون درهما هذا النوع من الأرادب سائدا في مصر أما في الريف فيختلف الأردب عن هذا فيكون مقداره ثلاث ويبات والرطل اثنا عشر أوقية والأوقية اثنا عشر درهما [2] ، اما بالنسبة للمقاييس فقد استخدمت القصبة الحاكمية التي يبلغ طولها ستة أذرع [3] واستخدم أهالي الدلتا القصب السندفاوية ، أطول من الحاكمية بقليل نسبة إلى بلدة سندفا بالقرب من مدينة المحلة [4] ، وكانت الدولة تهتم بالإشراف على الموازين والمكاييل فكان ذلك من اختصاص المحتسب فيرقب الأسواق منعا للغش والتطفيف [5] ، وكان يأمر جميع الباعة بالحضور إلى دار العيار ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم فيعايرها للتأكد من وزنها حرصا على المصلحة العامة للرعية ويصادرها عند وجود مخالفة بها ويلزم صاحبها بشراء غيرها [6] .

خامساً : المعاملات المالية :

العملة هي وسيلة التعامل التجاري التي يحتاج إليها الناس في تقدير مختلف أنواع السلع ، فكان الدينار هو وحدة التعامل في مصر في العصر الطولوني وضرب أحمد بن طولون [7] في سنة 254هـ/868 م دينارا من الذهب خالص العيار عرف بالدينار الأحمدي [8] ، وفي بداية العصر الفاطمي تداول الناس في مصر الدينار الراضي نسبة إلى الخليفة

---

(1) عبد اللطيف البغدادي : الإفادة ، ص 34 .
(2) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 227 .
(3) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 279 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 442 .
(4) القلقشندي : نفس المصدر السابق والصفحة .
(5) ابن تيميه : الحسبة ، ص 20 ، الشيزاري : نهاية الرتبة ، ص 20 .
(6) المقريزي : الخطط ، جـ2 ، ص 464 .
- عطيه مصطفى مشرفه : الفضاء في الإسلام ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1966 م ، ص 179 .
(7) ولد أحمد بن طولون في سنة 220هـ / 835 م وكان عال الهمة وعرف منذ نعومة اظافره بحبه إلى الدين فتوجه إلى طرسوس لتحصيل العلم على يد العلماء والمحدثين وكان محل ثقة الجميع وتزوج ابنة القائد يا رجوخ وانجب منها العباس وفاطمة وزاعت شهرة أحمد بن طولون في البلاط العباسي .
- انظر : البلوي : سيرة أحمد بن طولون ، نشر محمد كرد على دمشق 1358هـ ، ص 33 – 35 .
(8) المقريزي : النقود الإسلامية ، الطبعة الخامسة ، تحقيق محمد السيد على النجف العراق 1967م ، ص26
- علي مبارك : الخطط التوفيقية ، ص 27 .

العباسي الراضي بالله [1] ، وعندما دخل القائد جوهر الصقلي [2] مصر سنة 358 هـ / 968 م ضرب الدينار المعزي [3] ، ونقش في احد وجهيه ثلاثة أسطر احدهما دعا الإمام المعز لتوحيد الأحد الصمد " وتحته سطر فيه " ضرب هذا الدينار بمصر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة " وفي الوجه الأخر " لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون على أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين " .

وكان هناك نوع آخر من الدنانير الفاطمية المضروبة في مصر تحمل عبارات " عال " أو " عال غاية " لا إله إلا الله محمد رسول الله على ولي الله محمد رسول الله أرسله الله بالهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله " ضرب هذا النوع في عصر الخليفة المستعلى بالله سنة 492 هـ / 1098 م [4] .

وعندما جاء الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر سنة 365 هـ / 975 م ، حاول التخلص من الدينار الراضي المتداول في الأسواق فعهد إلى وزيره يعقوب بن كلس بالأ يحصل إلا الدينار المعزي في الخراج [5] ، وكانت العملة الفاطمية مثل سائر العملات المتداولة في انحاء العالم الإسلامي تعرف باسم السكة وهذه الكلمة على حسب قول ابن خلدون " تدل على خاتم الحديد الذي تطبع عليه العملة أو تضرب عليه بالمطرقة ولذلك كان

---

(1) المقريزي : النقود الإسلامية ، ص 27 .
سامية رجب : النقود في مصر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة 1981 م ، ص 222 .
Fishel : Jews in the Economec and political life Newyork

(2) هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المشهور بالكاتب الرومي كان من الموالي المقربين للمنصور بن القائم بن المهدي صاحب أفريقية الذي كلفه بمهمة فتح مصر في 14 ربيع الأول سنة 358 هـ / 5 فبراير سنة 968 م ، انظر :
ابن خلكان : وفيات الأعيان ، الجزء الأول ، تحقيق احسان عباس ، ص 375 .

(3) المقريزي : النقود الإسلامية ، ص 26 .
Miles : Fatimid Coins Newyork 1951 P.8 Fishel : Op cit P.59

(4) النويري : نهاية الأرب ، جـ26 (مخطوط) ، ورقة 41 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 77 – 78
- انستانس الكرملي : النقود العربية (القاهرة 1939 م) ص 58 .
- عبد الرحمن فهمي محمد : موسعة النقود وعلم النميات (القاهرة 1965 م) ص 199 .
- عبد المنعم ماجد:النقود الفاطمية، مجلة كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، المجلد الثاني ، مايو1953 م ص 225 .
- دانييل أوسناش : تاريخ النقود العربية وما يتعلق بموازينها ومقاييسها ، ترجمة عبد اللطيف أحمد خالص ،
مجلة البحث العلمي ، العدد 14 ، 15 ، السنة السادسة 1969 ، ص 140 .
- Lane – Poole : Catalogue of Arabic Cons London 1967 P.158

(5) المقريزي : النقود الإسلامية ، ص 27 .

لفظ السكة يطلق عليها وعلى الدار التي تصنع فيها فسميت دار السكة أو دار الضرب [1] وتعددت دور ضرب النقود في مصر أبان العصر الفاطمي فضربت الدنانير في القاهرة ومصر وقوص وعسقلان [2] وصور الاسكندرية [3] .

وتعد دار الضرب بالاسكندرية أهم دور الضرب بمصر قبل الفتح العربي ، وبعده [4] وللأسف لم نعثر على منتجات من دار الضرب بالاسكندرية من الدراهم أو الفضة أو الدنانير قبل العصر الفاطمي [5] .

وكانت الدنانير [6] والدراهم التي تسك في الاسكندرية ينقش عليها اسم الفسطاط وما لبث اسم الاسكندرية أن ظهر على دنانير مصر في العصر الفاطمي [7] ، حيث عثر نقود ذهبية مكتوب عليها " الإمام محمد أبو القاسم المنتظر بأمر الله أمير المؤمنين " " بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينر (الدينار) بالاسكندرية ستة خمس وعشرين وخمسمائة"[8] .

كما عثر على نقود ذهبية من عصر الظافر (544 هـ/1149م = 549هـ/1154م) من دار الضرب بالاسكندرية مكتوب عليها " عال ، لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له محمد رسول الله ، علي ولي الله ، غاية " وعلى الوجه الأخر " محمد رسول الله أرسله ألخ عبد الله ووليه ، اسمعيل أبو المنصور الإمام الظافر بأمر الله أمير المؤمنين بسم الله الرحمن

---

(1) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا ، جـ 1 ، ص 399 .
- ابن يوسف : الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، الطبعة الأولى ، حققه حسين مؤنس الطبعة الأولى ، مدريد 1960 م ، ص 49 .
- عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، الجزء الأول ، القاهرة 1953 ، ص 126 .

(2) هي مدينة حسنة ذات سورين وبها أسواق .
(3) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 450 .
(4) عبد الرحمن فهمي : فجر السكة ، ص 214 .
(5) ابن بعزة : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية " المقدمة " ، ص 30 – 31 .
(6) الدرهم وحدة من وحدات السكة الإسلامية الفضية وقد اشتق اسمه من اليونانية Soouvn وبالفارسية " درم " واخذ العرب استعمال الدراهم عن الفرس .
عبد الرحمن فهمي : صنج السكة في فجر الإسلام ، القاهرة 1957 م ،ص 31 .
ويمثل الدرهم عشر الدينار ولم تكن العلاقة بينهما ثابتة حيث كان مقدار ووزن الدرهم يختلف من فترة لأخرى .

(7) Frey : Dictionary of Numismatic P.66
Miles : Fatimid Coins P.50

(8) Lane – Poole : Catalogue P.194

الرحيم ضرب هذا الدينر (الدينار) بالاسكندرية سنة خمس وأربعين وخمس مائة " [1] واستمرت دار الضرب بالاسكندرية تؤدي رسالتها في العصر الأيوبي حيث ضربت بها دنانير ذهبية [2] .

وكان أهل الاسكندرية يتعاملون بنوع من الدراهم تعرف باسم المودة يقول المقريزي[3] " وأدركنا بالاسكندرية وأهلها لا يتعاملون إلا بها ويسمونها الورق " .

كما اقتصرت المعاملة بالدراهم السود على أهل الاسكندرية [4] ، وكان يقوم بالعمل في دار الضرب عدد من المستخدمين على رأسهم متولي دار الضرب وله السلطة المباشرة على العمال في الدار ولم يكن وجوده يتعارض مع إشراف القاضي من الوجهة الإدارية [5].

وكان إشراف الدولة على دور الضرب من الأمور الهامة لأنها بذلك تحافظ على مصلحة الرعية بالعمل على تحرير الأموال من الغش الذي قد يحدث لو ترك الأمر بغير رقابة ، ولهذا السبب كانت الدولة تعطي المستخدمين في دور الضرب الأجور المجزية التي ترضيهم [6] وسار استعمال الفضة السوداء في الحوف الشرقي حيث يتعامل بها الناس حتى بلبيس وبعدها يتعامل التجار بالفلوس حتى العريش [7] وكانت الدنانير والدراهم من وسائل التعامل في مدن الدلتا التي اشتهرت بصناعة النسيج فعلى سبيل المثال بلغ ثمن القميص المعروف بالبدنة بمدينة تنيس ألف دينار[8] ، وكانت منسوجات الاسكندرية ، الكتانية التي صنع منها الشرب يباع كل زنة درهم بدرهم فضة [9] .

وكانت الصكوك [10] تستعمل كوسيلة من وسائل التعامل التجاري وقد استخدمت منذ صدر الإسلام حيث كانت الارزاق والرواتب تدفع بها احيانا فكان عمر بن الخطاب " رضي الله عنه " أول من صك وختم أسفل الصكوك .

---

(1) Ibid P. 197

(2) ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص 103 .

(3) أغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص 95 .

(4) العمري : مسالك الأبصار ن ص 89 .

(5) ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية " المقدمة " ، ص 33.

(6) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 332 .

(7) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 183

(8) المراكشي : الاستبصار ، ص 87 – 88 ، والحميري : الروض المعطار ، ص 137 .

(9) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 163 .

(10) الصكوك جمع صك وتجمع في الصك أسماء المستخدمين ويوقع السطان وفي آخره باطلاق الرزق لهم.

ابن منظور : لسان العرب ، جـ4 ، ص 2475 .

وبازدياد النشاط التجاري في القرن الخامس الهجري شاع استخدام الصكوك [1]، وكان نظام المقايضة سائدا بالدلتا فكان الأهالي يشترون الكثير من الحوائج والمأكولات ببيض الدجاج وبتخال الدقيق [2] ولم يعرف أهل الريف النقود في معاملتهم التجارية فاستعملوا نظام المقايضة يقول ابن مماتي [3] عنها " أنها احسن طريقة واسلم عاقبة " .

سادساً : المنشآت التجارية :

كانت الدلتا تزخر المنشآت التجارية في العصر الفاطمي كالفنادق[4]، يقول ابن بسام [5] عن مدينة تنيس " لها من الفنادق والقياسر خمسون سواء تم بني في سنة 405 هـ ستة أدر للتجار فصار الجميع ستة وخمسون موضعا " وانتشرت الفنادق في ربوع الاقليم في المحلة [6] ودمنهور [7] وبلبيس [8] وقليوب [9] والواردة [10] ، ومحلة صرد [11] والبجوم [12] وسنهور [13] وأشموم [14] طناح ، وكان لكل جالية من التجار الأجانب بالاسكندرية فنادقهم الخاصة بهم [15] كما وجدت بعض المؤسسات التجارية بالحوف الشرقي الذي يربط مصر ببلاد الشام لخدمة المسافرين يقول ابن بطوطه [16] عندما غادر الصالحية " تنتشر المنازل ويحتوي كل منزل على فندق وهم يسمونه الخان لنزول المسافرين . بدوابتهم وبخارج كل خان ساقية للسبيل وحانوت يشتري منه المسافر ما يحتاج إليه لنفسه ودابته " ويذكر ابن جبير الذي زار مصر في نهاية العصر الفاطمي والذي مر

---

(1) المقريزي : الذهب المسبوك ، تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة 1955 م ، ص 16 .
الشيخ الأمين عبد الله : اسواق القاهرة منذ العصر الفاطمي حتى نهاية العصر المملوكي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية البنات جامعة عين شمس 1981م ،ص 99 .
(2) المقريزي : أغاثة الأمة ، ص 69 .
(3) قوانين الدواوين ، ص 360 .
(4) الفنادق كلمة مشتقة من اليونانية Pandokeion
آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ2 ، ص 327 .
(5) انيس الجليس ، ص 184 .
(6) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 123 ، ابن دقماق : الانتصار ، ص 82 .
(7) ياقوت : المشترك ، ص 182 ، ابن دقماق : الانتصار ، ص 101 .
(8) ابن دقماق : الانتصار ، ص 51 .
(9) ابن دقماق : الانتصار ، ص 48 .
(10) ياقوت : معجم البلدان ، جـ5 ، ص 369 .
(11) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 ، محلة صرد من أعمال الغربية .
(12) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 . البجوم بالقرب من رشيد واندثرت .
(13) ابن دقماق : الانتصار ، ص 92 .
(14) ابن دقماق : الانتصار ، ص 68 .
(15) التطيلي : رحلة بنيامين ، ص 179 .
(16) مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص43 .

عبر الدلتا في رحلته أنه نزل بفندق الصغار بالقرب من الصبانة وكانت الفنادق أشبه بالأسواق الكبيرة فيضع التجار بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها ويغلقون غرفهم باقفال رومية [1] وكان الفندق يحتوي على كنيسة صغيرة يقيم فيها التجار شعائرهم الدينية وبه فرن يصنعون فيه الخبز حسب عادتهم ، ومكان يصرح لهم فيه بشرب النبيذ ، وكانو عادة يختارون أحد أفراد الجالية للإشراف على تنظيم الإقامة في الفندق أو يمثلهم أمام السلطات الحاكمة ويطلق على هذا الشخص اسم الفندقي [2] وكذلك كان للخان فناء تربط فيه دواب المسافرين وفي الدور الأرضي غرف مفتوحة على الفناء أو الصحن تودع فيها المتاجر وأخرى تطل على الشارع الخارجي . وتؤجر كحوانيت للتجار تعلوها غرف للسكنى [3] .

وتعد القياسر من المؤسسات التجارية في المحلة [4] والتحريرية [5] وابيار [6] ودمنهور [7] السنمبوطية [8] .

وكان في بعض القياسر مساجد لتجار المسلمين ويعلوها رباع ذات مساكن يقيم بها الصناع والتجار بأجر ومن هذه الأوصاف المختلفة نجد أن القياسر كانت تنشأ للتجار الأجانب على اختلافهم وهذه المباني ذات أقسام خاصة لمبيت التجار ، والصناع بصفة مؤقتة أو دائمة وكان بها أماكن للصناع لمزاولة أعمالهم [9] .

سابعاً : طرق التجارة الداخلية :

ساعدت المواصلات على تسهيل حركة التجارة الداخلية بالدلتا حيث تميزت بشبكة واسعة من الطرق البحرية والبرية .

(1) الطرق البحرية :

لعب نهر النيل دوراً عظيما في سهولة ربط الأقليم بالصعيد [10] وكذلك ربط مدن الاقليم ببعضها ، حيث يتفرع نهر النيل إلى فرعين فرع دمياط وفرع رشيد [11] ، ويتشعب

---

(1) رحلته ، ص 44 .
(2) آدم متز : الحضارة الإسلامية ، جـ2 ، ص 327 .
(3) كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية في مصر ، سلسلة الألف كتاب ، رقم 253 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 20 .
(4) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 123 ، ابن دقماق : الانتصار ، ص 82 .
(5) ابن دقماق : الانتصار ، ص 86 .
(6) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 117 .
(7) ابن دقماق : الانتصار ، ص 101 .
(8) ابن دقماق : الانتصار ، ص 92 .
(9) المقريزي : الخطط ن جـ2 ، ص 87 .
(10) ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ 1 ، ص 26 .
(11) التطيلي : رحلة بنيامين ، ص 147 ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 344.
- الخالدي : المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 83 ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، جـ2 ، ص 798 .
- المحلي : مبدأ النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 25 . =

من هذين الفرعين مجموعة من الخلجان وسنعرض لذكر أهم الخلجان التي ساهمت في سهولة نقل التجارة كخليج أمير المؤمنين وخليج الاسكندرية [1] وخليج دمياط وتنيس وبحيرة تنيس .

أ- خليج أمير المؤمنين :

يعتبر خليج أمير المؤمنين من أهم خلجان الدلتا القديمة لربطه النيل بالبحر الأحمر . وبدايته من المنطقة الممتدة بين القاهرة والمقس ، وأعاد حفره عمرو بن العاص عندما فتح مصر [2] ، وساعد على سهولة نقل المؤن إلى بلاد الحجاز [3] وسبق أن تعرضنا إلى هذا الخليج في فصل الزراعة .

ب- خليج الاسكندرية :

كان أهم الخلجان المتفرعة من فرع رشيد ، وكانت بدايته عند أبو نشابة " مركز كوم حماده " ومنها إلى ترنوط " الطرانة مركز حماده " ثم إلى بستامه " بشناي مركز تلا " إلى شابور " مركز كوم حماده " ومنها إلى محلة نقيده " النقيدي مركز كوم حماده " إلى دنشال (مركز دمنهور) إلى شبرا بومينا " شبرا الدمنهورية مركز دمنهور " إلى قرنقيل " قابيل مركز دمنهور " إلى برسيف " مركز أبو حمص " إلى الكريون (مركز كفر الدوار) إلى قرية الصير " منشأة بسيوف مركز كفر الدوار إلى الاسكندرية [4] وسهل خليج الاسكندرية حركة الملاحة بالسفن بين القاهرة والاسكندرية [5] وكافة السواحل المصرية مما ساعد على نقل المحاصيل إلى مختلف الجهات [6] وكان استخدام السفن لهذا الطريق المائي مقصور على زمن الفيضان وكانت المسافة بين القاهرة والاسكندرية في النيل تستغرق ستة أيام .

= - الحجازي : النيل الرائد في النيل الزائد (مخطوط) ورصة 14 – 15 .
- ابن عبد السلام : الفيض المديد (مخطوط) ورقة 4 .

(1) المسعودي : مروج الذهب ، جـ1 ، ص 344 – 345 .
- ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 205 – 206 ، المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 70 .
- المحلي : مبدأ النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 13 – 14 .
- الخوارزمي : صورة الأرض ، ص 108 – 109 ، ابن الزيات : الكواكب السيارة ، ص 6 .
- ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ1 ، ص 56 .
- ابن زولاق : فضائل مصر (مخطوط) ورقة 19 .

(2) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص 164 ، المقريزي : الخطط ، جـ 1 ، ص 71 .
(3) ابن دقماق : الانتصار ، ص 120 ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ1 ، ص 298 .
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص132– 133، عبد العال الشامي: مصر عند الجغرافيين العرب، ص 137
(5) العمري : مسالك الأبصار ، جـ1 ، ص 89 .
(6) ابن سعيد : بسط الأرض ، ص 81 .

جـ- تنيس :

كانت من أهم طرق المواصلات المائية بين موانى مصر الثلاث الفرما وتنيس ودمياط [1] ، وكانت السفن وسيلة المواصلات في هذه الجزيرة لربط تنيس بباقي المدن كدمياط ودميره ودبقوا وشطا وتونه [2] يقول ابن حوقل [3] " وتلتقي السفينتان تحك احداهما الأخرى هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة " وكانت السفن تنتقل بين هذه المدن محملة بالسلع التجارية . فيذكر ناصر خسرو [4] أن تنيس " يرابط حولها دائما ألف سفينة منها ما هو للتجار وكثيرا منها للسلطان " وكانت تنيس تتصل بالفسطاط عن طريق مائي يخرج من فرع دمياط ويصب ببحيرة المنزلة وفي هذا الصدد يقول الإدريسي [5] " اننا إذا أردنا المسير من رمسيس إلى تنيس متتبعين فرع النيل الريئسي كان علينا أن نتوجه أولا إلى طخا " طلخا " حيث ينقسم هذا الفرع إلى خليجين أحدهما يجري غربا إلى دمياط والأخر يتجه شرقا إلى تنيس " .

د- الطريق البحري بين تنيس والقاهرة :

سلك ناصر خسرو هذا الطريق حيث خرجت السفينة من بحيرة تنيس حتى وصلت إلى نهر النيل (يقصد بذلك فرع دمياط) إلى مدينة الصالحية ومنها إلى القاهرة حيث وصل ناصر خسرو إلى القاهرة في يوم الأحد الموافق السابع من صفر سنة 439هـ/4 اغسطس 1047م[6].

هـ- الطريق البحري بين الفرما والاسكندرية :

تخرج السفينة من الفرما ثم تتوجه إلى تنيس إلى دمياط إلى المحلة ومنها إلى الاسكندرية [7] .

(2) الطرق البرية :

أ- الطريق بين الفسطاط والاسكندرية :

يربط الاسكندرية بالفسطاط طريق بري إذا نضب ماء الفيضان ويمر بين المدائن والضياع فيبدأ من شطنوف إلى سبك العبيد (مركز اشمون من أعمال المنوفية) إلى منوف إلى محلة صرد (من أعمال الغربية) إلى شبرالمنه إلى مسير " من أعمال الغربية " إلى سنهور إلى البجوم (بالقرب من رشيد واندثرت) إلى نستراوه إلى البرلس ثم إلى أخنا

---

(1) جاستون فيت : المواصلات في مصر ، ترجمة محمد وهبي من كتاب في مصر الإسلامية ، القاهرة 1937م ، ص 35 .
(2) ياقوت : معجم البلدان ، جـ1 ، ص 419 – 420 .
(3) صورة الأرض ، ص 146 .
(4) سفر نامه ، ص 39
(5) نزهة المشتاق : ص 335 .
(6) سفر نامه ، ص 40 – 41 .
(7) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 214 .

ومنها إلى رشيد [1] ومن هناك يتفرع الطريق على الساحل الشمالي غربا إلى الاسكندرية وقد من ابن جبير [2] من الاسكندرية إلى دمنهور ثم إلى بصا ثم إلى برقة إلى طندته (طنطا) ثم إلى يسبك إلى مليج (مركز شبين الكوم محافظة المنوفية) إلى سبك (سبك الضحاك مركز الباجور محافظة المنوفية) إلى قليوب فمنية السيرج فالقاهرة ، ومنها إلى الفسطاط وكذلك هناك طريقان يمتدان من القلعة إلى الاسكندرية :

الأول : يبدأ من القلعة إلى قليوب ثم منها إلى منوف ثم المحلة إلى التحريرية (من أعمال الغربية) ثم منها إلى الاسكندرية .

الثاني : يبدأ من القلعة إلى الجيزة ثم منها إلى جزيرة القط [3] إلى وردان ثم إلى الطرانة إلى زاوية مبارك إلى دمنهور غلى لوقتين .(من أعمال البحيرة بالقرب من الاسكندرية) إلى الاسكندرية [4] .

ب- الطريق بني الفسطاط ودمياط :

يبدأ هذا الطريق من القلعة إلى دمياط مارا بسرياقوس ثم إلى بئر البيضاء إلى بلبيس إلى السعيدية إلى اشمون الرمان إلى دمياط [5] .

جـ- الطريق بين مصر والفرما :

يعتبر هذا الطريق أهم طرق الدلتا حيث يمر بالحوف الشرقي فيبدأ من القاهرة إلى بلبيس إلى فاقوس إلى جرجير[6] إلى الفرما إلى البقارة إلى الواردة إلى العريش إلى رفح[7].

د- الطريق بين الفرما والاسكندرية :

من الفرما إلى دير النصارى إلى المخلصة إلى العريش إلى بلبيس إلى الفسطاط إلى الاسكندرية [8] .

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 131 .
(2) الرحالة ، ص 47 .
(3) من أعمال الاصفيحية وتعرف اليوم بجزيرة البدرشين التابعة لمركز البدرشين ، انظر محمد رمزي : القاموس الجغرافي ، جـ1 (البلاد المندرسة) ص 211 .
(4) العمري : التعريف بالمصطح الشريف ، ص 189 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ14 ، ص 375 – 376 .
- علي مبارك : الخطط التوفيقية ، جـ13 ، ص 10 .
- نظير حسان سعداوي : نظام البريد في الدولة الإسلامية ، مكتبة مصر ، القاهرة 1953م ص 125 .
(5) العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص 189 .
- القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ14 ، ص 376 – 377 .
(6) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 346 .
(7) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 213 – 214 .
(8) المقدسي : المصدر السابق ، ص 214 .

هـ - الطريق بين رشيد إلى الاسكندرية :

يبدأ هذا الطريق من ثغر رشيد ويستمر في الرمال إلى بوقير إلى القصرين إلى الاسكندرية ويبلغ طول هذا الطريق حوالي ستون ميلا [1].

و- الطريق بين الفرما والقلزم :

كان يمتد هذا الطريق بين الفرما على ساحل البحر المتوسط إلى ميناء القلزم على ساح البحر الأحمر ، ويعد أقصر الطرق التي تصل بين البحرين [2] وكانت القوافل تقطعه في يوم وليله [3] وكان مسلك تجار اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس يستغلون هذا الطريق في نقل متاجرهم إلى " مشرق والعودة بمتاجر الشرق عن طريقه إلى الغرب [4] .

التجـــارة الخـــارجية

أولاً : مراكز التجارة الخارجية :

(1) دمياط :

تعد مدينة دمياط من أهم مراكز التجارة الخارجية فهي ثغر جليل[5]، ومن اعظم مراسي السفن على شاطئ البحر المتوسط [6] وشاركت تنيس والفرما بحكم موقعهما على ساحل البحر المتوسط ، وترجع أهمية هذه المجموعة التجارية إلى قربها من الدول الواقعة على الساحل الشرقي لحوض بحر الروم يقول ابن زولاق [7] " ومن جهة تنيس ودمياط والفرما فرضته بلاد الروم ، وأقاصي بلاد الفرنجة وقبرص وسائر سواحل الشام والثغور إلى حدود العراق " .

ولقد وصف المقدسي [8] دمياط بقوله " اطيب وأرحب واكثر فواكه وأحسن بناء وأوسع ماء وأحذق صناعا وأرفع بزا وانظف عملا وأجود حمامات " ، واشتهرت دمياط بصناعة المنسوجات التي بلغت درجة عالية حتى أن كازرون أكبر مدن فارس في صناعة المنسوجات عرفت بدمياط الأعاجم [9] ، ولم تقتصر شهرة دمياط على المنسوجات بل تعددتها إلى الاسماك ومنها الحوت البوري الذي يحمل إلى بلاد الشام والروم ومصر[10] .

---

(1) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص 344 .
(2) ابو صالح : كنائس واديرة مصر ، ص 73 .
(3) الكندي : فضائل مصر ، 67 .
(4) ابن خردازية : المسالك والممالك ، مكتبة المتنبي ، بغداد ، ص 153 .
صفاء حافظ عبد الفتاح : المواني والثغور المصرية ، دار الفكر العربي ، القاهرة بدون ، ص 175 .
(5) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 136 .
(6) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 35 .
(7) فضائل مصر (مخطوط) ورقة 17 .
(8) احسن التقاسيم ، ص 202 .
(9) نفسه ، ص 433 – 434 .
(10) ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 23 .

ولأهمية دمياط في النشاط الاقتصادي فرضت الدولة رقابتها الشديدة على حركة الدخول والخروج إلى دمياط يقول ابن بطوطه [1] " لم يكن يسمح لاحد بالخروج من دمياط إلا بتصاريح كتابي (كتابة) من الحاكم بالنسبة للوجهاء من القوم إما من دونهم فكان يطبع على ذراعيه " .

ولقد جنى أهل دمياط اشتغالهم بالتجارة ارباحا هائلة حيث أقام بها طائفة كبيرة من الأثرياء [2] وليس أدل على مبلغ ثرائهم من ان بدر الجمالي اقترض من تجارها بعض الأموال عندما نزل بها بعد ان استدعاه المستنصر بالله لتولي الوزارة سنة 466هـ / 1073م[3] .

(2) تنيس :

قامت شهرة تنيس في مجال التجارة الخارجية على تصدير المنسوجات فكان يحمل من انتاجها إلى العراق حتى سنة 360هـ/970م ما يبلغ ثمنه عشرين الف دينار [4] ، كما تهافت على شراء منسوجاتها ملك فارس وابطرة الروم [5] وكانت تنيس عامرة بالأسواق الفخمة وبلغ عدد الدكاكين بها عشرة آلاف دكان [6] ووصفها المقدسي [7] بقوله " وهو بلد التجارات " ثم يضيف في موضع آخر " هي بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب أسواق ظريفة وأسماك رخيصة ، وبلد مقصود " [8] .

واهتمت الدولة الفاطمية بالحفاظ على آمن تنيس بإعداد جيش كامل السلاح خشية هجوم الفرنجة أو الروم عليها [9] .

(3) الفرما :

الفرما مدينة كبيرة قديمة [10] ، وهي مفتاح مصر من الشرق [11] ، وصفها المقدسي [12] بقوله " بأنها عامرة آهلة وبها أسواق حسنة " وهي مجمع للطرق [13] من البر والبحر

---

(1) مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 23 .
(2) ابن دقماق : الانتصار ، ص 81 .
(3) ابن ميسر : اخبار مصر ، جـ2 ، 40 ، صفاء حافظ عبد الفتاح : المواني والثغور المصرية ، ص 184 .
(4) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 143 ، وابن دقماق : الانتصار ، ص 79 .
(5) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .
(6) نفسه ، ص 38 .
(7) احسن التقاسيم ، ص 203 .
(8) نفسه ، ص 201 .
(9) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 40 .
(10) المراكشي : الاستبصار ، ص 89 .
(11) اليعقوبي : البلدان ، ص 337 .
(12) أحسن التقاسيم ، ص 195 .
(13) نفسه ، ص 195 .

يقول ابن حوقل [1] " الفرما يردها التجار في البر والبحر ليلا ونهارا من الفسطاط والشام وسابلتها غير منقطعين ".

كما احتفظ ثغر الفرما بأهميته وثرائه ومما زاد في أهمية طريق الفرما أنه يختصر مدة السفر إلى أربعة أيام أو خمسة أيام [2] .

ولذلك حرص التجار اليهود الرذانية على اتخاذ طريق الفرما ممرا لتجارتهم التي يحملونها بين الشرق والغرب [3] .

وكان أهلها يتاجرون في النوى والشعير والعلف والقوافل كما أنهم يصدرون تمرهم إلى كل البلاد [4] .

ولقد أدرك الصليبيون أهمية موقع الفرما فشنوا غاراتهم المتكررة عليها بهدف الانتقام والتدمير في سنة 545هـ/1151م [5] .

(4) رشيد :

ساعد موقع رشيد عند ملتقى النيل بالبحر المتوسط [6] لتكون من اهم مراكز التجارة الخارجية حيث كانت تستخدم كمستودع للبضائع القادمة من القاهرة والصعيد لنقلها إلى أوربا عن طريق الاسكندرية [7] .

وكانت تزخر بالأسواق والصناع والتجار [8] وذكر ابن حوقل [9] " أنها مدينة على النيل قريبة من مصب فوهته إلى البحر ويعرف هذا وهي المدخل من البحر بالاشتوم وكانت بها اسواق صالحة وحمام ولها نخيل كثير وارتفاع واسع وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية ويحمل إليها من متاع البحر إلى سائر اسباب التجارة " .

واشتهر اهل رشيد بصيد الأسماك من البحر وبالاخص الدليس الذي يملح وينقل إلى سائر الاقاليم [10] .

---

(1) صورة الأرض ، ص 136 .
(2) هايد : تاريخ التجارة ، ص 58 .
(3) ابن خرداذبة : المسالك ، ص 153 .
(4) ياقوت : معجم البلدان ، جـ2 ، ص 125 .
(5) ابن دقماق : الانتصار ، ص 53 .
(6) باو الفداء : البلدان ، ص 117 .
(7) علماء الحملة الفرنسية : وصف مصر ، الجزء الثالث ن ترجمة زهير الشايب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص 213 .
(8) جان ليون ك وصف افريقيا ، جـ8 ، ص 574 .
(9) صورة الأرض ، ص 131 – 132 .
(10) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 343 .

(5) الاسكندرية :

كانت مدينة الأسكندرية من أغنى مراكز التجارة العالمية [1] ، وهي من اعظم ثغور الإسلام [2] تتمتع بموقع جغرافي فريد على شاطئ البحر المتوسط [3] يقول الحميري [4] " الاسكندرية تعجب كل من رأها لبهجتها وحسن منظرها " أتاح لها ذلك الموقع أن تصبح في ملتقى التجارة العالمية لتوسطها بين الشرق والغرب [5] ، حيث يفد إليها شعوب من كافة أنحاء العالم [6] من الممالك النصرانية وافريقية وجزيرة العرب والهند [7] بطريق البر والبحر [8] وكانت فرضة المغرب والاندلس وبلاد الفرنج والروم [9] .

ونالت أعجاب ابن بطوطه [10] فقال " وهي الثغر والقطر المانوس والعجيبة الشأن الأصيلة البنيان بها ما شئت من تحسين وتحصين ، ومآثر دنيا ودين " .

كما نواه ابن رسته [11] لأهمية الاسكندرية بقوله " مدينة الاسكندرية وهي نزيهة كثيرة الخير " وتشتهر بصناعة المنسوجات الكتانية الراقية من النوع المعروف بالشرب [12] ويصف القلقشندي [13] عظمة الاسكندرية وكثرة صناعتها ومتاجرها " بها الجوامع والمساجد والخوانق والربط والزوايا والحمامات والديار الجليلة والأسواق الممتدة وفيها ينسج القماش الفائق الذي ليس له نظير في الدنيا وإليها تهوى ركائب التجار في البر والبحر" .

---

(1) Georges Posener : Adictionary of Egypt London 1962 P.6

(2) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 39 ، القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 404 .

(3) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 319 ، المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 196 .
- ابو الفداء : البلدان ، ص 113 ، الزهري : الجغرافية ، ص 46 .
- Encyclopaedia Britanniea Art " Alex"

(4) الروض المعطار ، ص 56 .

(5) ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 12 .

(6) هايد : تاريخ التجارة ، ص 58 .
- Ernst Kuhnel : Islamic Art Newyork 1966 P.65

(7) التطيلي : رحلة بنيامين ، ص 178 .

(8) العمري: مسالك الأبصار ، ص 89 ، والحميري : الروض المعطار ، ص 56 .

(9) القلقشندي : صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 404 .
- العمري : مسالك الأبصار ، ص 89 .

(10) مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 12 .

(11) الاعلاق النفيسة ، ص 117 .

(12) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 163 .

(13) صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 404 .

كما كانت الاسكندرية مركزا هاما لتجارة الشب حيث كان العرب يحضرونه من معادنه في اسواق إلى ساحل اخميم واسيوط والبهنسا ليحمل إلى الاسكندرية أيام زيادة النيل عن طريق خليج الاسكندرية [1] ، كما كان الشب يأتي إلى الاسكندرية بنفس الطريق من الواحات [2] وكان الشب من المواد التي يقبل التجار الروم على شرائها لشدة الطلب عليه لحاجتهم في صناعة الصباغة لذلك كانت الدولة الفاطمية تحتكر تجارته[3].

وكانت السفن تسير في شهور الفيضان حاملة من داخل البلاد الشب والغلال والكتان وغير ذلك من اصناف السلع إلى الاسكندرية ثم تأخذ طريقها إلى موانى العالم الأوربي والإسلامي على البحر المتوسط وخاصة المغرب الإسلامي فيذكر ناصر خسرو ان بحر الاسكندرية يمتد حتى القيروان [4] ، كما كان يحمل من الاسكندرية الاخشاب والحديد برسم عمارة المراكب [5] .وكانت الاسكندرية تصدر الفواكه إلى الفسطاط [6] .

ثانياً : طرق التجارة الخارجية :

اتاح موقع الدلتا الفريد أن تصبح في ملتقى التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وهيأ لها أن ترتبط بالبلاد المجاورة بعدة طرق بحرية وبرية ، مما أدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية .

(1) الطرق البحرية :

أ- الطريق البحري بين الاسكندرية وبلاد المغرب :

كانت الاسكندرية ومازالت تمثل أهم موانى مصر على ساحل البحر المتوسط ويستفاد من قول البكري أن أهم المراسي الواقعة على ساحل افريقيا الشمالي كانت السلوم وطبرق وبرقة وسوسة [7] واجابية [8] وطرابلس وصفاقس [9] والمهدية [10] ومليلة [11] وسبتة

---

(1) صبح الأعشى ، جـ3 ، ص 484 .
(2) نفسه ، ص 455 .
(3) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 109 .
(4) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 44 .
(5) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص 257 .
(6) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 43 .
(7) سوسة تقع على ساحل البحر المتوسط بالقرب من المهدية تزخر بالأسواق .
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 74 .
(8) اجابية تقع بالقرب من ساحل المتوسط ونفد إليها المراكب محملة بالتجارة وتشتهر بالنخيل .
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 69 – 70 .
(9) صفاقس بالقرب من ساحل البحر المتوسط تبعد عن المهدية مرحلتان تشتهر بالزيتون والزيت .
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص73 ، وبها اسواق كثيرة وعامرة . الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 180
(10) مدينة المهدية تقع على ساحل البحر المتوسط اسسها المهدي الفاطمي حيث انتقل إليها من رقادة القيروان سنة 308هـ/920م وهي كثيرة التجارة تزهر بالمنشآت التجارية كالحمامات والخانات .
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 73 ، وهي فرضة لبلاد الشرق والغرب والاندلس والروم .
الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 281 .
(11) مليلة مدينة ذات سور منيع تكثر بها الزروع والحبوب والغلات وهي مراسي السفن . =

[1] وطنجة [2]

ب- الطريق البحري بين الاسكندرية وبلاد الشام :

ساعد هذا الطريق على سهولة حركة التبادل التجاري بين الاسكندرية وبلاد الشام حيث تخرج السفن من الاسكندرية إلى بوقير ثم إلى دمياط إلى بحيرة تنيس إلى غزة [3] إلى ملاحة الواردية إلى عقسلان إلى قيسارية إلى يافا إلى راس الكرمان إلى حيفا[4] إلى عكا [5] إلى صور [6] إلى صيدا [7] إلى بيروت [8] ثم طرابلس الشام إلى اللاذقية [9] إلى أنطاكية إلى الجزائر المؤلفة [10] .

جـ-الطريق البحري من غرب أوربا إلى المشرق مارا بالدلتا :

كان يستغل هذاالطريق تجار اليهود الرهدانية الذين يأتون من مقاطعة بروفانس بفرنسا ويسميهم المسلمون في ذلك الوقت تجار البحر وكانوا يتكلمون العربية والفارسية والرومية والأفرنجية والأسبانية ، والصقلبية ، ويجلبون من الغرب الديباج والخدم والجواري والغلمان وجلود الخز والفراء والسمور والسيوف ويبدأ هؤلاء التجار رحلاتهم

= - ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 79 .

(1) تقع على ساحل البحر المتوسط ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 79 .

(2) البكري : المغرب في ذكرى بلاد افريقيا ، ص 84 – 85 ، 86 مدينة طنجة تقع على ساحل المحيط الاطلسي وتشتهر بزراعة الحنطة والشعير . ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 80 .

(3) أول البلاد الشامية من ناحية مصر كثيرة العمارة حسنة الأسواق .
- ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 44 .

(4) حيفا من مدن ساحل بلاد الشام التي تقع على البحر المتوسط ، وهي فرضة لمدينة طبرية .
الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 365 .

(5) عكا تقع على ساحل البحر المتوسط ويصنع بها الحصر السامانية .
الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 463 .

(6) صور تقع على ساحل البحر المتوسط وهي مراسي للسفن وهي من الحصون القديمة .
الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 365 ، وتشتهر بالثراء وأغلب سكانها شيعة .
ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 14 .

(7) على ساحل البحر المتوسط وعليها سور حجارة وهي عامرة بالأسواق رخيصة الأسعار .
الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 370 ، ويرزع بها قصب السكر بوفرة .
ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 14 .

(8) بيروت مدينة على ضفة البحر بالقرب منها جبل فيه معدن حديد يقطع ويستخرج إلى بلاد الشام .
الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 371 ، وهي حسنة الأسواق تجلب منها الفواكهة إلى مصر . ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 52 .

(9) مدينة اللاذقية تقع على ساحل البحل المتوسط .
ابن بطوطه : مهذب رحلة ابن بطوطه ، جـ1 ، ص 66 .

(10) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقيا ، ص 86 .

التجارية من بروفانس وترسو سفنهم عند الفرما ثم يحملون تجاراتهم على الدواب إلى مدينة القلزم ومنها تنقل عبر البحر الأحمر حيث تمر بموانية الهامة بشبه الجزيرة العربية مثل الجار وجدة ثم يمضون إلى السند والهند والصين لجلب سلع الشرق النفيسة كالمسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك فإذا وصلوا إلى القلزم اتجهوا إلى الفرما أو إلى الاسكندرية ومنها إلى بروفانس ويقصد فريق منهم أحيانا إلى القسطنطينية [1] .

(2) الطرق البرية :

أ- الطريق البري بين الاسكندرية وبلاد المغرب :

يعد هذا الطريق من أهم الطرق التجارية الخارجية وهمزة الوصل بين الاسكندرية وبلاد المغرب فيبدأ من الاسكندرية إلى بومينه إلى سفا إلى ارمسا إلى ذات الحمام [2] إلى منية الروم إلى الطاحونة إلى كنائس الحون إلى جب العويج إلى سكه الحمام إلى قصر الشماسي إلى خربة القوم إلى خرايب أبي حليمه إلى العقبة إلى معد إلى ربوس إلى فرقة إلى قصر الشاهدين إلى وادي السدور إلى قرية باع إلى الندامة إلى برقة [3] إلى أجدابية إلى سرت [4] إلى طرابلس ثم إلى نفوسة إلى زويلة [5] .

ب- الطريق البري بين الدلتا وبلاد الشام :

كان هذا الطريق أهم الطرق التجارية للروابط التاريخية منذ فجر التاريخ بين مصر وبلاد الشام ، فكلاهما يعتبر امتدادا طبيعيا وعمقا استراتيجيا للأخر عبر عصور التاريخ ، ويبدأ هذا الطريق من الفرما ويتجه إلى بلاد الشام محازيا الساحل وكان يعرف بطريق الساحل تميزا له عن الطريق الأخر الذي يمتد عبر سيناء إلى الشام يسمى بطريق " الرمل " وكان التجار يفضلون طريق الساحل لقلة رمله واعتدال هوائه وبعده عن مناطق البدو [6] ، وكان هذا الطريق يتجه من الفرما إلى البقارة إلى الواردة إلى العريش [7] أو يسير من

---

(1) ابن خرذابة : المسالك ، ص 154 .
- ابن النفيس : البلدان ، ص270 .
- ZAKY - محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 148 – 149 .
MOHAMED HASSAN : LES TULUNIDES PARIS 1933 P.238

(2) المقدسي : أحين التقاسيم ، ص 214 .

(3) ابن خرداذبة : المسالك ، ص 84 – 85 .
-البغدادي:الخراج وصنعه الكتابة ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ص 220 – 221 .

(4) مدينة سرت تسكنها قبائل البربر وتشتهر بالنخيل والفواكه .
- ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 70 .

(5) البكري : المغرب في ذكر بلاد افريقيا ، ص 2 – 10 .

(6) عباس عمار : المدخل الشرقي لمصر ، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية ، القاهرة 1946 ، ص 23 – 33 .

(7) ابن خرداذبة : المسالك ، ص 80 .
- البغدادي : الخراج وصنعه الكتابة ، ص 219 – 220 .
- المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 213 – 214 .

الفرما إلى دمشق مارا بمدينة طبرية بالاردن إلى اللجون إلى القلنسوة إلى الرملة [1] .

جـ- الطريق بين مصر وبلاد الحجاز مارا بالدلتا :

كان هذا الطريق مسلك الحجاج من مصر إلى بلاد الحجاز حيث يبدأ من الفسطاط إلى عين شمس إلى المطرية إلى بركة الجب إلى جب عجرود ومنها إلى جب العجوز إلى القزم [2] حيث يوجد طريقين احدهما بري والأخر بحري ، فالطريق البحري يسير في البحر الأحمر إلى الجار ميناء المدينة ف يعشرين يوما ومنها غلى مدينة الرسول (ص) ثلاثة أيام وقد سلك ناصر خسرو هذا الطريق في سنة 439هـ صحبة الوفد المرافق لكسوة الكعبة ومن المدينة إلى مكة [3] ، واما الطريق البري فيبدأ من القلزم إلى أيله العقبة العظمى [4] حيث يجتمع حاج مصر وحاج الشام والمغرب [5] ومنها إلى حجز بر القلزم [6] ثم إلى حقل (بئر ماء) إلى برمدين إلى عيون القصب غلى المويلحة [7] ثم إلى الازلم ومنها إلى الوجه (على ساحل البحر) إلى الحوراء ومنها إلى نبط فالدهناء إلى بدر إلى رابع (ميناء على ساحل البحر) إلى مليص [8] إلى بطن مر ومنها [9] إلى مكة المشرفة [10] ويبلغ طول هذا الطريق ثلاثمائة فرسخ (تسعمائة ميل) ناصر خسرو في خمسة عشر يوما [11] .

د- الطريق من غرب أوروبا إلى المشرق مارا بالدلتا :

يبدأ هذا الطريق من بلاد الاندلس إلى كنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازا المغرب الاقصى والأوسط والادنى عن طريق أفريقية حتى يصل إلى الاسكندرية ورشيد ثم إلى الفرما ثم يتجه إلى بلاد الشام مارا بالرملة ودمشق ثم العراق مارا بالكوفة وبغداد والبصرة ثم إلى فارس مارا بالاهواز ثم إلى الكرمان والهند والصين [12] .

ثالثاً : المعاملات التجارية في أسواق العالم :

شهد العصر الفاطمي أوج الازدهار الاقتصادي للدلتا حيث ارتبطت بعلاقة تجارية هامة مع البلاد المجاورة فضلا عن المدن الاوروبية التجارية والدولة البيزنطية .

- ابن حوقل ك صورة الأرض ، ص 135 – 136 .

(1) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 227 .

(2) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 325 .

(3) سفر نامه ن ص 45 .

(4) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 219 .

(5) اليعقوبي : البلدان ، ص 340 .

(6) حجر بحر القلزم هي جبال الحجاز سميت بذلك لأنها حجزت بين الشام ونجد .
- ياقوت : معجم البلدان ، جـ3 ، ص 218 .

(7) المويلح حاليا تقع على شاطئ البحر الأحمر إلى الشمال من جدة .

(8) موضع في ديار بكر .

(9) بطن مرض نواحي مكة .

(10) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ2 ، ص 219 – 220 .

(11) سفر نامه ، ص 45 .

(12) ابن خرداذبة : المسالك ، ص 154 – 155 .

(1) بلاد المغرب العربي :

كانت منسوجات مدينة تنيس من الدبيقي والشرب والمصبغات من الحلل التنسية التي ليس في جميع الأرض ما يدانيها في القيمة والجودة[1]، وقماش البوقلمون الذي يتغير لونه بتغير ساعات النهار [2] ، في مقدمة صادرات الدلتا إلى بلاد المغرب العربي ، كما كانت الدلتا تستورد من برقة الذبائح لعظم خلفها وكثرة شحمها والصوف والعسل حيث ينقل بواسطة المراكب إلى الاسكندرية [3] ، فضلا عن الجلود والتمور [4] .

(2) بلاد الشام :

كانت منسوجات أبيار تصدر إلى بلاد الشام [5] وكذلك الحوت البوري من دمياط [6] ودهن البلسان [7] فضلا عن الحبوب حيث تنقل بواسطة السفن عن طريق الاسكندرية ودمياط وتنيس إلى ثغر عسقلان وصور مائة وعشرون ألف أردب سنويا [8] .

(3) بلاد الحجاز :

تعد منسوجات الدلتا أهم صادراتها إلى بلاد الحجاز سنويا حيث يتم نسج كسوة الكعبة ونستدل على ذلك من قطعة نسيج مؤرخة بتاريخ 191 هـ [9] مكتوب عليها " بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون أمير المؤمنين أطال الله بقاءه مما أمر الفضل بن الربيع مولي أمير المؤمنين بصنعته في طراز شطا كسوة الكعبة 191 هـ وكان يصدر من قرية مشتول الطواحين أكثر ميره بلاد الحجاز من الدقيق والكعك يقول المقدسي وأحصيت في وقت من السنة فإذا هو يبلغ ثلاثة آلاف حمل جمل اسبوعيا كلها حبوب ودقيق [10] .

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 143 .
- الادريسي : نزهة المشتاق ، ص 338 .
- ابن دقماق : الانتصار ، ص 79 .
(2) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .
(3) البكري : المغرب ، ص 5 .
- الحميري : الروض المعطار ، ص 91 .
- اشتور : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط ، ص 96 .
(4) ابن حوقل : صورة ألأرض ، ص 69 .
(5) ابن بطوطه : مهذب رحلة بن بطوطه ، جـ1 ، ص 21 .
(6) نفسه ، ص 23 .
(7) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص 34 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 230 .
(8) ابن المأمون : أخبار مصر ، ص 65 – 96 .
(9) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 266 .

Wiet : Repertoire V.1 P.63

(10) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص 195 .

(4) العراق :

كانت منسوجات تنيس تصدر إلى العراق سنويا ما يتراوح قيمته بين عشرين ألف دينار إلى ثلاثين ألفا [1] فضلا عن منسوجات ابيار [2] ومما يدل على أهمية منسوجات الدلتا لدى العراق أطلق على احدى قرى بغداد نواحي نهر عيسى بالدبيقية المصرية وكانت أكبر مراكز صناعة المنسوجات بالعراق تباع منسوجاتها تحت اسم دبيقية على أنها مصرية حتى يروج التجار العراقيون بضاعتهم [3] .

(5) بلاد فارس :

اشتد الطلب على منسوجات تنيس التي تمتعت بشهرة عظيمة فأرسل ملك فارس مبعوثون من قبله بمبلغ عشرين الف دينار شراء حله من كسوة السلطان ، فاقاموا بتنيس عدة سنوات ولم يحصلوا على مطلبهم[4] .

(6) الدولة البيزنطية :

على الرغم من المنازعات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية من أجل السيادة على البحر المتوسط فإن العلاقات التجارية بين البلدين لم تتوقف فكان البيزنطيون يستوردون المنسوجات المصرية الممتازة من مصانع تنيس ودمياط حيث شهده أقبال شديد لدى الإباطرة لتتزين قصورهم [5] كما كانت منسوجات تنيس تتمتع بسمعة حسنة في أسواق القسطنطينية حتى أن ناصر خسرو سمع أن أحد الأباطرة عرض على الخليفة الفاطمي مائة مدينة مقابل استحوازه على مدينة تنيس وحدها [6] وكانت للاسكندرية علاقات تجارية مع القسطنطينية [7] وكانت مصر تستورد الفراء المجلوب من بلاد الروس ولذا كانت تتقرب للبيزنطيين فضلا عن الغلال في سنوات الشدة المستنصرية ، فلقد أرسل الخليفة المستنصر في سنة 446هـ/1054 – 1055 م إلى الامبراطور البيزنطي المدد فأرسل إليه 400.000 أردب[8]

---

(1) ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 143 .
ابن دقماق : الانتصار ، ص 79 .
SUBHI LABIB : EGYPTIAN COMMERCIAL P.65
- ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ص 257 – 258 .
(2) ابن بطوطه : مهذب رحلة بن بطوطه ، جـ1 ، ص 21 .
(3) ياقوت : معجم البلدان ، جـ2 ، ص 438 .
(4) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .
(5) هايد : تاريخ التجارة ، ص 70 .
(6) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 38 .
(7) ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية ، ص 328 .
(8) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ2 ، ص 13 .
- المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 335 .

(7) صقلية :

وما ساعد على نشاط حركة التبادل التجاري بين صقلية ، ومصر خضوع جزيرة صقلية فترة من الزمن للسيادة الإسلامية في العصر الفاطمي فيشير الرحالة ناصر خسرو إلى أن صقليى ملك سلطان مصر تغادرها كل سنة سفينة تحمل المال إلى مصر ويجلبون منها كتانا رقيقا وثيابا منقوشة يساوي الثوب منها في مصر عشرة دنانير مغربية [1] ويذكر ابن حوقل [2] عن إنتاج صقلية من الثياب الكتانية أنه " لا نظير لها جودة ورخصا ويباع مستعملها ، مما يقطع قطعتين من الخمسين رباعيا إلى ستين رباعيا فيزيد على ما يشتري من أمثاله بمصر بالخمسين والستين دينارا كثيراً " .

ولم يقتصر فقط على جلب منتجات صقلية إلى مصر مقر الحكم بل كانت تخرج السفن من ميناء الاسكندرية للتجارة [3] .

كما تمكن روجر الثاني حاكم صقلية من عقد معاهدة تجارية مع حكام مصر سنة 532هـ/1137م بفرض الرسوم والمكوس على تجار البلدين [4] .

ومنذ ذلك التاريخ وتجار صقلية يشاهدون باستمرار في ميناء الاسكندرية واسواقها من ذلك ما رواه الرحالة بنيامين التطيلي الذي زار مصر بين عامي (561هـ/1165–1173م) إلى أن أسواق مدينة الاسكندرية تحفل بتجار الممالك النصرانية كافة من البندقية وأما لقى وصقلية [5] .

(8) أمالقى :

كانت مدينة أمالقى ترتبط بعلاقات تجارية مع مصر حيث يفدون إلى الاسكندرية لاستيراد المنسوجات وأعواد المسك والكافور والبخور وغير ذلك من لوازم الكنائس وكانت هذه السلع تجد لها سوقا رائجة في روما [6] ومن مظاهر علاقات أمالقى مع مصر أن احد مواطنيها الاثرياء ويدعى " مورس " استعان بمهرة الصناع والفنانين من الاسكندرية لتزيين بعض قصوره بالزجاج المعشق والفسيفساء [7] .

---

(1) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 45 .
(2) صورة الأرض ، ص 121 .
(3) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص 13 .
(4) ابن جبير : الرحلة ، ص 326 .
(5) التطيلي : رحلة بنيامين ، ص 178 .
(6) هايد : تاريخ التجارة ، ص 122 .
(7) هايد : تاريخ التجارة ، ص 118 .

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري شوهدت سفن لمدينة أمالفى ترسو في ميناء الاسكندرية [1] .

(9) جنوة :

قامت العلاقات التجارية بين مصر وجنوه في النصف الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي ، فعقد مندوب عنها معاهدة تجارية مع الحكومة الفاطمية سنة 455 هـ/1063م كما وافق بعض خلفاء العصر الفاطمي الثاني على حماية رعاية جنوه أثناء اقامتهم في الموانى المصرية[2] وكان كثير من تجار جنوه يتوافدون إلاى الاسكندرية لاستيراد بعض السلع وبخاصة التوابل والشب والنطرون التي احتكرت الحكومة الفاطمية تجارته واختصت لنفسها بحق بيعه للروم [3] وكان لأهل جنوه جالية تقيم بالاسكندرية [4] .

(10) البندقية :

ساعد موقع البندقية الجغرافي في نمو علاقتها التجارية بين أوروبا وبين اقطار الشرق الإسلامي وقيامها بدور الوسيط التجاري [5] فكانت سفن البندقية التجارية تقوم برحلاتها ذهابا وعودة ما بين سواحل شمال أفريقيا وجزيرة صقلية في العصر الفاطمي وقيامهم بنقل المسافرين والبضائع [6] . وعلى الرغم من صدور مرسوم من البابوية بمنع تجار البندقية من التعامل مع المسلمين فإننا نجد بعض التجار يتوجهون إلى الاسكندرية ويدلل هايد سبب ذلك برفع الحظر عنهم او أنهم تجاهلوا الحظر ولم ينفذوه بدقة [7] .

(11) بيزا :

كانت مدينة بيزا تحرص على توطيد علاقتها بالفاطميين فعندما اعتدى بعض الركاب البيزيين على سفينة المسلمين بالقتل والسلب ارسلت عام 1154م سفيرا ينوب عليها إلى بلاط الخليفة الظاهر للاعتذار عن هذا الحادث ولقد وصل هذا المندوب إلى الاسكندرية على ظهر " مركب حربية " ونستدل على قوة العلاقات التجارية بين البلدين واهتمام بيزا بالمحافظة عليها [8] كما تمتع تجار بيزا بامتيازات كبيرة في مدينة الاسكندرية بخصوص الرسوم المفروضة على المتاجر [9] .

---

(1) كلود كاهن : تجارة القاهرة الأجانب في عهد الفاطميين والأيوبيين من أبحاث ندوة القاهرة الدولية 1976، ص 871 .
(2) هايد : تاريخ التجارة ، ص 139 .
(3) المقريزي : الخطط ، جـ1 ، ص 109 .
(4) هايد : تاريخ التجارة ، ص 139 .
(5) هايد : تاريخ التجارة ، ص 109 .
(6) هايد : تاريخ التجارة ، ص 125 .
(7) هايد : تاريخ التجارة ، ص 125 .
(8) راشد البحراوي : حالة مصر الاقتصادية ، ص 220 .
(9) هايد : تاريخ التجارة ، ص 127 .